

روایات عالمیہ



شیر و شیر



روايات عالمية

نيرون

قصة الرجل الذي أحرق روما

للكاتب الفرنسي الكبير

إسكندر دوما

الفصل الاول

فى اليوم السابع من العام السابع والخمسين قبل الميلاد ، لثمانمائة وعشر سنين خلت من تأسيس روما ، اجتازت الباب الغربى لمدينة (كورنثه) فتاة فى حوالى الخامسة أو السادسة عشرة من عمرها ، فارعة العود ، مشوقة القد ، جميلة ؛ فانحدرت نحو شاطئ البحر ، حتى اذا بلغت فى طريقها روضة تحد أحد جانبيها أشجار الزيتون ويحد الجانب الآخر منها جدول تنشر عليه أشجار البرتقال ظلالها ، توقفت تجمع بعض الازهار البرية ، ثم هرعت نحو الجدول فتهدلت خصلات شعرها على كتفيها ، وركعت عند ضفته تستقى ، فحانت منها التفاتة الى صورتها وقد انعكست على صفحة الماء ، فابتسمت راضية عن جمالها . . . كانت فى الواقع من أجمل غادات اليونان ، تتجلى آيات السحر فى عينيها الدعجاوين المفعمتين بالفتنة ، وفى أنفها اليونانى ، وشفتيها العقيقتين ، وجسدها البض الملتف ، وقدميها الصغيرتين اللتين يخال الرائي أنهما لن تقويا على حمل جسمها .

واستغرقت الفتاة فى تأمل خيالها بضع لحظات . . ثم عملت الى شعرها ففرقته ثلاث خصلات ، وعقصته ثم شبكته بأزهار البرتقال والغار ، وانكفأت ترتوى من الجدول فالتقت شفثاها بشفثى صورتها المنعكسة على صفحته ، فارتجف الماء كأنما أخذته النشوة .

وعندما اعتدلت واستوت على قدميها . . وقفت برهة جامدة يعتمل الفضول فى نفسها . . . اذ لمحت مركبا كبيرا يتسلل الى الخليج . . وقد وشيت مقدمته بأسلاك الذهب

•• وراحت نسيمات البحر تداعب قلوبه الارجوانية ••
وانطلقت المجاذيف من جانبيه تصافح الماء •• ومع أن المركب
كان لا يزال على ربع ميل من البر •• إلا أن أصوات ملاحية
سرت الى مسمعى الفتاة •• تردد احدى أنشودات (نبتون)
- اله البحر - في رقة وعذوبة ناعمة •• لا قبل لأصوات
البحارة الخشنة بها • وهفت الانغام بمشاعر الكورنثية
الحسنة •• فاقتطعت بعض فروع البرتقال والزيتون ثم
تقدمت في خطوات بطيئة من الشاطئ •• يحدوها الفضول
•• بينما كانت أصابعها تضفر فروع الزهور • فلما بلغت
الشاطئ •• كان المركب قد ازداد منه اقترابا •• حتى
استطاعت الفتاة أن تتبين وجوه الموسيقيين وأن تميز بين
الأصوات المختلفة التي كانت تردد (لازمة) الانشودة ••
صوت المغنى الذى كان يترنم بمقاطعها •• والذى كان يقف
عند مقدمة المركب •• حاملا قيثارة ذات أوتار ثلاثة وكان
من البلى أنه صاحب المركب وسيدها •• اذ رقد عند قدميه
عبد لا يفضح ثوبه الاسيوى الطويل حقيقة جنسه فلم تدر
أرجلا كان أم امرأة •• وأفلت المجذفون مجاذيفهم من أيديهم
ووقفوا يصفقون في فترات منتظمة •• حامدين (نبتون)
أن آتاهم ريحا طيبة •• ساقتهم الى بر الامان •

وأثار المنظر أقصى آيات الدهش والعجب فى نفس
الفتاة •• إذ لم تكن كورنثية فى تلك الايام موئل المجد
والابهة كما كانت فى عهد (سيلا) حين اعتبرت مزاحمة
اثينا ومنافستها •• فقد اجتاحتها الرومانيون سنة ١٤٦ قبل
الميلاد •• فأعملوا السيوف فى رقاب أهلها ، وباعوا نساءها
وأطفالها فى أسواق الرقيق •• وأحرقوا بيوتها •• وهلموا
أسوارها •• وحملوا تماثيلها الى روما •• كما فرشوا أبدع

رسومها ولوحاتها .. أبسطة يسير عليها الجنود .. ومع
أن يوليوس قيصر أعاد تشييدها بعد ثمانين عاما .. وبعثها
من مواتها كمستعمرة رومانية .. إلا أنها كانت لا تزال بعيدة
عن أن تستعيد ما كانت تستمتع به فتي غابرها من نعيم
ورداء .. ومن ثم رأى القنصل الروماني العام - وكان بمثابة
الحاكم - أن يعقد فيها مباريات عامة في المصارعة .. وسباق
العربات .. والغناء في اليوم العاشر من مايو - من ذلك
العام - والأيام التي تليه .. عسى أن يعيد بهذه المحاولة
إليها مجدها القديم .. وفعلًا أقبلت على المدينة منذ بدأ
الشهر .. وفود من الأعراب والأجانب المتباينين الأجناس
.. يحدوهم الفضول .. أو يتنازعهم الطمع في الفوز بتيجان
البطولة في هذه المباريات .. ووصل بعضهم في عربات
مطهمة .. بينما قلم بعض آخر على صهوات الجياد ..
ومنهم من أقبلوا في سفن استأجروها .. أو اصطنعوها
لهذه المناسبة .. ولكن موكبا من هذه المراكب لم يبلغ في
روعته وأبهته ما بلغته تلك السفينة التي وقفت الفتاة ترقبها
وهي تمس البر ..

وأسرع الملاحون يملون من مقعدة المركب سلما مطعما
بالنحاس والفضة ، فرفع المغني قيثارته فوق كتفه ، ثم هبط
إلى البر متكئا على كتف العبد الذي كان يقبع عند قدميه
وتبينت الفتاة أن السيد شاب وسيم في حوالى الثامنة
والعشرين من عمره أصفر الشعر ، أزرق العينين ، ذو لحية
في لون الذهب الخالص ، وقد ارتدى سروالا أرجوانيا ،
وصديريا أزرق موشى بخيوط الذهب والقصب ، ووشاحا
أحاط بعنقه وتدل طرفاه حتى منطقتة .. أما العبد فكان
يصغر سنه بعشر سنين .. فتى يافعا ، تزخر عيناه

بفيض من الحزن المكتوم والاسى البدين : وتكاد قسماته ان
تشبه قسمات فتاة غضة الالهاب ، كما تبدت بشرته غضة
تزدى ببشرة أجمل غواني أثينا وأكثرهن غضارة وطراوة ..
وكان يكتسى برداء أبيض فضفاض ، طرز صدره بوشى من
الذهب وامتد طرفه الى حذاء الركبتين .. وتهدل شعر الفتى
على كتفين انحسر الثوب عنهما فتركهما عاريتين ، وتدلّت من
عنقه مرآة علقت فى سلسلة ذهبية ، ورصع اطارها بالجواهر
والاحجار الكريمة واذا أوشك العبد ان يطأ البر ، اجتذبه
سعيده فى عنف فأجفل ، ثم تساءل فى صوت رقيق وجل :
ماذا حدث يا مولاي ؟

— كدت تطأ البر بقدمك اليسرى ، فتضيع على كل
ما أنفقت من جهود ، وأملت من ثمار ..

فعاد العبد يقدم قدمه اليمنى على اليسرى ، بينما
وجلّت الفتاة نفسها تخاطب السيد قائلة فى لغة اليونان :

— ان أرض الاغريق أيها الغريب لكريمة حفية بمن
يطؤها وفى صدره نوايا طيبة ، سواء مس أرضها يمينى
قدميه أم يسرها .. فهى أرض الحب ، والشعر . والصراع
.. ومهما تكن أيها الغريب ، فأننى أقدم لك هذا الاكليل .
فتقبله ريشما تفوز بذاك الذى جئت تنشده ..

فتناول الشاب فى عجلة ، ووضع فوق مفرقيه وهتف
ان الالهة لتبسم لنا راضية يا سبورس . فهاهى ذى زهور
البرتقال التى أتاحت النصر لهيبوميناس على اقلاننا وهذه
زهور الزيتون . شجرة أبولو الحبيبة .. ما اسمك يارسولة
الحظ الحسن ؟

فأجابت الفتاة فى استحياء : آكتيه ..

فصاح الرجل مرة أخرى : هل سمعت يا سبورس ؟

آكتيه • اى الشاطيء • • لكأنا كانت كورنثه فى استقبالى
لتتوجنى بأكليل النصر والرفعة • •
فقال الفتى : واى عجب فى ذلك ! • • أو لم تعدك الالهة
لنصر والرفعة يالوشيس ؟

وعلمت الفتاة أن ليس للغريب فى المدينة من أهـل
ولأ أصدقاء أو معارف • فبعته كى ينزل ضيفا على دار أبيها
فهتف السيد الشاب :

— ما كذبتنى عيناي حين أدركت أن خلف هذا الجمال
آلهة لا تقل مكانه عن هيلين • • لكان فينوس قد أضفت عليك
سحر جمالها الخالد • فكتب لى أنا الآخر الخلود أذ رأيتك
وتضرجت وجنتا الفتاة خجلا ، بينما التفت الشاب إلى
خادمه يسأله فى لهجة لاتينية :

— ما رأيك يا سبورس ؟
— أن آلهة الحظ تحبوك بما يستل من قلبك كل شك
فى ولائها لك • •

— اذن فلنشق بها هذه المرة • • فما تقلمت إلينا من قبل
ممثلة فى هذا الجمال- الباهر الفتان • • ألا قودينا أيتها
الحسناء • فنحن على استعداد لأن نتبعك • ومر ليبيكس
يا سبورس أن يراعى فوبيه ويرقبها بعين يقظة • •

فهرع العبد عائدا إلى السفينة يبلغ أمر سيده • ثم
لحق بهما وهما ينحدران فى الطريق إلى المدينة • • وكانت
آكتيه تسأل لوشيس وهى تشير إلى الأماكن التى ستقام
فيها المباريات • •

— وفى أى تيجان البطولة يطمع لوشيس ؟

— فى ثلاثتها يا آكتيه • •

— أنك مسرف فى الطموح يا سيدى

ولكن الألهة تستبشر بالرقم (ثلاثة) وترضى عن كل ماهو ثلاثى ..

واذ أشرفوا على المدينة ، لمح لوشيس نافورة ماء قديمة تجلى فيها جمال الفن الاغريقى . فسأل دليلته ومضيفته عنها فقالت آكتيه :

— انها نافورة بيرنيه ، فقد قتلت ديانا ، ابنة بيرنيه فى هذه البقعة ، ولما رأت حزن أمها عليها وانكبابها فوق جثتها ، سخطتها حجرا فى شكل نافورة تسكب الماء فوق الجثمان الذى نحت ليسيبس — تلميذ فيدياس — تمثاله .
فهتف السيد الشاب : تأمل روعة الفن يا سيبورس ..
أنظر كيف بذل المثال كل مواهبه ليصور مشاعر الألم واختلاجاته .. سأمر بهذا التمثال أن ينقل الى رومـا أو نابولى ، فانى أحب أن يقام فى إحدى قاعات قصورى أو أفنيته .

فقالت آكتيه : انه تحفة قديمة تعتز بها المدينة اعتزاز الام التى فقدت أجمل صغارها ، فغدت تحرص على من بقى منهم ، فهل تراك من الغنى يالوشيس بحيث تملك ما يكفى لابتياح هذه التحفة الغالية ؟

فنظر اليها الشاب وكأنما مسته كلماتها ، وصاح :
ابتياح ؟ .. ولم ابتاع شيئا أستطيع أن انتزعه انتزاعا ؟
لو اننى اشتهيت هذا التمثال لنلته ولو اجتمعت كورنثه عن يكرة أبيها على الحيلولة دون ذلك .. اللهم الا اذا رغبت آكتيه الفاتنة فى استبقاء التمثال لبلدها .

فتضرج وجه الفتاة خجلا وقالت : لسبت أدرى مدى لفوذك وقوتك يالوشيس ، ولكننى أشكرك على أية حال ..
فدع لبلادنا آثارها أيها الرومانى ، ولا تفعل ما فعله آباؤك

من قبل .. لقد جاءوا غزاة فاتحين ، وجئت أنت ضيفا صديقا
 - على رسلك يا حسناء ، فقد بدأت أرى في كورنثة
 من التحف التي تشتهى ، ما يفوق هذا التمثال الرخامي ..
 وما جاء « باريس » ليسلب « لاسيديمون » تمثال منيرفا
 أوديانا ، بل جاء فاختطف « هيلين » الطروادية الحسنة .
 فغضبت الفتاة بصرها في ارتباك وقد أدركت مارمى
 اليه .. وتابع الثلاثة سيرهم ، فدخلوا المدينة التي كانت
 تعج بالوفود التي اجتذبتها المباريات لا من كافة أنحاء بلاد
 اليونان فحسب ، بل ومن كل أرجاء العالم .. الذي كان
 يخضع اذ ذاك للامبراطورية الرومانية .
 وبلغوا الدار أخيرا ، فاذا رجل عجوز يقف عند عتبةها ،
 تقدمت منه الفتاة قائلة :
 - لقد أرسل إلينا جوبيتر ضيفا يا أبت ، قابلته عند
 شاطئنا ، فسمعته الى بيتنا .
 فبسط العجوز يده للوشيس ، وهو يدفع الباب يفتحه
 باليد الأخرى وقال :
 - مرحبا بك أيها الشاب ذو اللحية الذهبية !

الفصل الثاني

في اليوم التالي جلست « آكتيه » بين أبيها « أميكل »
 وضييفهما « لوشيس » حول مائدة حوت أشهى الأطعمة وأطيبها
 .. وجريا على عادة الاغريق ، دعا أميكل بالنرد أن يحمل إليهم
 كي يحكموه فيمن يرأس المائدة ، فلما القاه أميكل ، كشف
 عن الوجه الذي رسم عليه « هرقل » ولما ألقته آكتيه ، كان
 من جظها الوجه الذي رسمت عليه « العربة » .. أما الشاب
 الروماني ، فقد تردد برهة في قلق وانفعال ، ثم القاه ،

فاذا الوجه الاعلى هو وجه « فينوس » واذا هو الفائز فصاح
فى عبده باللغة اللاتينية .

— هل رأيت يا سبورس ، كيف تنحاز الالهة الى
صفنا ؟ وهل هناك خير من هرقل والعربة وفينوس . لتكون
فالا لشخص وقد ليفوز ببطولة « المصارعة » و « سباق
العربات » و « الغناء » ؟ . اليس ههنا وعدا صريحا من
جوبيتر ؟

فتنهذ اليونانى العجوز وقال للشباب بذات اللغة :
واحسرتاه على زمن كان فى وسع بلاد الاغريق فيه ان تنجب
اندادا ينافسونك عن جدارة آ . . . ولكن الظاهر ان اليونان
فقلت مع حريتها كل فنونها وقوتها ، وجرؤت روما على ان
ترسل لنا صبيانها لينتزعوا البطولة منا فليحكمك جوبيتر
ايها الشاب ، فمع اننى أتمنى ان يفوز بالبطولة مواطن من
بلدى ، الا اننى لا أضن بالامنية ذاتها على ضيف فى بيتى
. . . فاذهبى يا ابنتى واحضرى لنا من الزهور ما نصنع منه
أكاليل نستعوض بها عن التيجان التى يسعى اليها ضيقنا
ريثما يفوز بها .

واسرعت اكتيه فاحضرت اكاليل توج اكبرها رأس
لوشيس . . . ونشرت الزهور فى ارجاء المكان ، ثم توسيط
الضيف المائدة وحوله الاب وابنته . وعند قدميه عبده .
وقدمت صحاف الطعام ، فاقبلوا عليها ، واميكليتاأمل
فى عطف ضيفه ، بين اللحظة والاخرى ومالبث ان سأل :
— هل آتيت من روما مباشرة ؟

فأجاب الرومانى الشاب :

— لقد استقلت مركبى من ميناء أوستيا .

— وهل ما زالت الالهة تحمى الامبراطور المقدس وأمه ؟

ـ أجل .

ـ وهل كان القيصر يعد العدة لحملة عسكرية جديدة ؟

ـ لم تعد هناك قبائل متمردة ، فقد وهب القيصر ـ

سيد العالم ـ كل البلاد السلم والطمأنينة كي ينصرف عنها

الى الفتون . . وحمل قيثارته ينشد اهازيج المديح للالهة .

ـ أولا يخشى أن يسعى غيره لانتزاع الحكم منه وهو

منهمك فى الغناء ؟

فقطب لوشيس حاجبيه وقال : اذن ففى اليونان أيضا

يخالون القيصر طفلا ؟

ـ لا ، ولكنهم يخشون أن يتلكأ فى الوصول الى طور

الرجولة .

ـ ظننته قد بلغ الرشيد حين مات بريتانيكس ؟

ـ لقد لقي بريتانيكس حتفه منذ امد طويل على يدى

اجريبيينا .

ـ بل ان القيصر هو الذى قتله ، ولك ان تصدق قولى

. . اليس كذلك ياسبورس ؟

فصاحت اكتيه : أو قتل أخاه ؟

ـ بل قتل الابن الذى شاعت الام أن تقدمه عليه وتحبوه

دونه . . سلى أباك أيتها الحسناء فهو يبدو لعينى عليما ،

ولا شك أنه يغرف أن ميسالينا ـ زوجة كلوديس ـ أرسلت

جنديا ليقتل نيرون وهو فى المهد صبيًا ، فاذا بشعبانين

يفاجئانه من فراش الصغير فيضطرانه الى الفرار . . ليس

نيرون بالاحمق ككلوديس ، ولا بالمعتوه ككاليجولا ، ولا

بالجبان كتيبريوس ، أو المتظاهر الذى يمثل دورا مصطنعا

مثل أوغسطس . .

وتطلع أميكل وأكتيه الى ضيفهما مشدوهين ، فقد كان

انتقادا لباطرة اذ ذاك أو سبهم ، نوعا من التجديف ، اذ كانوا يعدون في مصاف الآلهة .. وسادت الجميع لحظات صامتة واجمة ، مالبث أن قطعها مقدم عبد يعلن نيا وصول رسول من الحاكم يحمل رسالة الى الضيف .. فقد رأى الحاكم المركب في مرساه ، فتحرى عن صاحبه وعلم انه في ضيافة أميكل ، فبعث يدعوه لينهب الى دار الحكم في الصباح التالي فيسجل اسمه ، ويعين المباراة التي ينبغي الاشتراك فيها وأنصت لوشتيوس للرسالة يتلوها الرسول ، وهو مضطجع في مجلسه ، بينما كان أميكل وابنته واقفين احتراماً لكلمات الحاكم ، ثم تناول من صدره صفائح برقية من العاج المكسو بالشمع ، وقلما من نفس المادة ، ذا سن مدببة ، فخط بضعة أسطر ، ذيلها بخاتمه ، ثم أسلمها للرسول ليحملها الى الحاكم .. وتردد الرسول مدهوشاً ، ولكنه أشار اليه في غضب فانحنى وانصرف .. واذا ذاك قال أميكل :

- اننى أكاد أشك أيها الشاب فى انك رومانى ، فلو انك عشت فى المدينة الامبراطورية ، لكنت قد تعلمت كيف تظهر الاحترام لاوامر ممثل القيصر ، فان الحاكم هو صاحب السلطة المطلقة وله من الطاعة هنا مالنيرون فى روما .

- أونسيت أن الآلهة اختارتنى فى بدء هذه المأدبة لمنصب يعادل منصب الامبراطور اذ جعلتنى ملك المائدة ؟ . وهل من شيم الملوك أن يغادروا عروشهم اطاعة لاوامر الحكام .. لقد كتبت الى لينتولس - الحاكم - أخبره ان فى وسعه أن يحضر فيسألنى ، اذا شاء أن يعرف اسمى ، ومقصدى وانى لوائق من أنه سنيحضر بنفسه ، وسترى .. أنصت !
وفعلا لم يلبث الباب ان ردد صدى طرقات . فنهض

أميكل وابنته بنفسيهما ليفتحا للطارق ، ، وفوجئا بالحاكم
يدخل وقد تفصد العرق من جبينه ناما عما كان لرسالة
الضيف من أثر عليه ، فلما أقتيد الى حيث يجلس لوشيس
سأل هذا مضيفيه ان يدعاه مع الحاكم وحيدين ، فاغلق الباب
دونهما ووقف اتباع الحاكم يحرسونه . . ولم يدر أحد
ما دار في تلك المقابلة التي دامت ربع ساعة انصرف بعده
الحاكم ، بينما خف لوشيس الى حيث كان أميكل وابنته
يتمشيان في الحديقة ، فبادر الاول قائلا :

— ما أجمله من مساء يا أبت ، فهلا رافقت ضيفك حتى
القلعة التي قيل لي أنها تشرف على منظر رائع . وهلا أتحت
له أن يرى تمثال فينوس الذي أمر القيصر برده من روما
الى معبد الآلهة ليرعى الرومانيين المشتركين في المباريات ؟
فقال أميكل : كم يؤسفني يا بني أن أصبحت سني
تعوقني عن أن أرشدك في تسلق الجبل ، ولكن آكتيه
تستطيع أن ترافقك ، فهي في خفة الرشأ . .

— شكرا يا أبتاه ، وما كنت لاجروا ان أسألك هذا
خشية أن تغار فينوس من جمال ابنتك فتصب على انتقامها
وتضرجت وجنتا آكتيه خجلا ، ثم أسرعنا الى الدار
فغابت لحظة ، لتعود وقد أرخت على وجهها نقابا . . فرافقت
لوشيس وانطلقا فاجتازا باب المدينة الشمالي ، واتخذوا
الطريق الصاعدة عبر سفح الجبل الى القلعة ، فبلغاها بعد
ساعة ، ونفذا الى معبد فينوس ، فاذا تمثال الآلهة واقفي
أبهى زينته والى يمينه تمثال الحب ، والى يساره تمثال
الشمس . . فركع لوشيس أمام تمثال معبودته يصلي ، حتى
إذا فرغ عاد يرافق آكتيه ، فدلفا الى الغابة المقدسة القائمة
خلف المعبد والمفضية الى قمة القلعة . .

وكانت آكتيه قد خلعت نقابها منذ خلقت المدينة ،
فراح لوشيس يتملى من حسناتها الرابع بين كل خطوة وأخرى ،
حتى اذا انتهيا الى القمة ، استندت الفتاة الى جذع شجرة •
بينما لف الرومانى ذراعه على أحد الأغصان يعتمد عليه ،
وبدلا من أن يتأمل منظر كورنثه وهى تستلقى عند قدمى
الجبل ، راح يلتهم آكتيه بعينين برح بهما الجوع الى الحب ،
حتى طغى على الفتاة الحجل والحياء ، وراحت تنشد فى
الكلام - على غير هدى - ستارا يخفى ارتباكها ••

فمضت تقول : سرح بصرك نحو الشرق تر خليج
سارون •• وما هذه الارض التى صاغتها الآلهة فى شدل
حلاوة ألفرس ، سوى جزيرة سلاميس حيث حارب اخيلس ••
وحيث هزم اكورسيس •• ثم ول ظهرك شطر كورنثه ••
وارسل البصر نحو الشمال •• تر الى يمينك جبل سيثرون ••
والى يسارك ليوكترا حيث هزم أبامنداس الاسبرطيين وفى
مواجهتك تماما •• تجد جبل بارناسس ذا القمتين اللتين
تنبع من بينهما عين كاستاليا التى توحى بالشعر لكل من
ينهل من فيض مائها •

فقال لوشيس : لاريب فى أن بلادكم بلاد الذكريات
العظيمة •• وليس أبعث للاسى من أن كل أبنائها لا ينظرون
الى هذه الذكريات نظرتهم الى أساطير مقلسة •• كما تفعلين ••
ولكن رفهى عن نفسك ، فاذا عز على اليونان اليوم ان تكون
ملكة القوة كعهدا فيما مضى ، فانها دائما ملكة الجمال ••
وانه لأحب سلطان الى القلوب ••

فمدت آكتيه يدها الى القناع تحاول أن تغطى به
وجهها ، ولكنه أسرع فامسك باليد •• واجفلت الفتاة ولكنها
لم تجد من نفسها جرأة على اجتذاب يدها من قبضته ••

وغامت هلى هينيتها غشاوة واحسنت بركبتها ترتجفان ..
فمالت تستند الى الشجرة ..

وكان الوقت اذ ذاك ابداع ساعات النهار واحلاها ..
التي تقف فيصلا بين الليل والنهار .. فلا هى من هذا ..
ولا هى من ذاك .

وكان الشفق يصبغ الافق .. ويعكس أرجوانيته على
مياه بحر يونيان .. ويرسل السننه تفصل بين السحاب
النهبية .. وسكنت الطبيعة فلم يعد يعتكر الصمت الا بعض
صيححات يبعثها الرعاة وهم يسوقون أغنامهم فى السفوح .
وبدأت حشرات الليل اللامعة تطمئن الى احتضار النهار
فنشطت تسعى بين الحشائش .. وكأنها أرهق النهار الطبيعة
وأنهك قواها .. فتولاها الحور والكلل .. وأخذت تستسلم
وسنانة الى هجعة مريجة ناعمة .. بين أحضان الصمت الشامل
الذى هفا باعصاب الشابين ومشاعرها .

وفجأة ، أنبعثت صرخة غريبة من ناحية المرسى الذى
استقر فيه مركب لوشيس ، فارتعدت آكتيه ، بينما التفت
الشاب الرومانى فى عجلة صوب الشاطئ .. واعتدلت الفتاة
فى خوف غريزى وهمت أن تتخذ طريقها صوب المدينة ،
ولكن لوشيس أوقفها ، فانصاعت فى صمت .. وكأنها
أحست أنها ازاء قوة طغت على كل قواها .. فعادت تستند
الى جذع الشجرة ، أو بالاحرى ، الى ذراع لوشيس ؛ التى
تلقتها وأحاطت بخصرها ؛ وطوحت الفتاة رأسها الى الحلف ،
وراحت تحديق فى السماء ، وقد أطبقت اجفانها وشفتيها
نصف اطبق ، ومع أنها أحست أن عيني الشاب الرومانى
تكادان تلتهمان حسنها الساحر ، ألا انها لم تقو على تحاشيهما
بل انتابتها غيبوبة أو نشوة ناعمة ، لم تفق منها الا حين

انبعثت صرخة ثانية ، تمزق السكون ، فصاحت فى جزع :
— هيا نفر يا لوشيس ، فلا ريب أن هذه الصرخة لحيوان
كاسر يسعى فى الجبل .

فابتسم قائلاً : أو تخشى آكتيه ضراً وهى بجوارى ؟
اننى لاشعر أن فى وصعى أن أقاوم أكثر الكواسر وحشية من
أجلها . . . ومع ذلك . . . فما هذه الصرخة الا لنمر .
فألقت بنفسها بين ذراعى الرومانى ، تلوذ به محتمية
مما تخشى من ضر .

وانبعثت صيحة ثالثة . . . دلت هلى اقتراب النمر . .
فرد عليها لوشيس بصيحة تكاد تشبهها كل الشبه . . فاذا
بنمر يثب من الغابة المقدسة . . ويستوى على مؤخرته متحفزاً
للوثوب . . فارسل لوشيس من بين شفثيه صفيراً حاداً . .
فقفز النمر نحوه . . وفى نفس اللحظة . . أحس الرومانى
بجسد الفتاة يهوى على ذراعه ، وقد فقدت وعيها لفرط
النعر .

فلما أفاقت آكتيه ، وجدت نفسها على صدر لوشيس ،
بينما كان النمر مستلقياً عند أقدامها وقد راح يمسح رأسه
فى زكبة الشاب فى شغف . . وعاود الفزع آكتيه فتشبثت
بصدر لوشيس ثم لاحظت أن الحزام الذى يحيط بخصرها
رمزاً الى أنها لا تزال عذراء . قد فك وألقى هلى قدم منها .
فتولاهما شعور من النحياء والخزى ومدت يدها تستعيده .
والكن لوشيس كان أسرع منها ففك منطقة ذهبية كانت تحيط
بعنق النمر تتدلى منها سلسلة محطمة . . فأحاط بها خصر
الفتاة النحيل ثم تناول حزام الفتاة فربطه الى شريط حريرى
كان يحيط عنق النمر تحت المنطقة الذهبية . . ووضع الطرف
الآخر للحزام بين أصابع الفتاة المرتجفة .

وانطلق ثلاثتهم نحو المدينة .. فلما بلغوا مدخلها
التقوا بعبد نوبى .. ما ان رأى لوشيس حتى خر ساجدا
عند قدميه .. وراح فى ذلة يعتذر بأن (فوبيه) انتهزت
غفلة منه فحطمت قيودها وفرت من المركب تبحث عنه ..
وكان لوشيس فى غمرة السعادة .. فلم يفكر فى عقاب ..
بل صاح فى العبد :

- قم يالبيكس فقد عفوت عنك هذه المرة .. وان كادت
هذه الغائبة أن تموت فزعا حين رأت (فوبيه) مقبلة ..
اسلمى ياحسنائى النمرة الى حارسها .. ساربط اثنين من
نوعها الى عربة تحملك يوما ما بين قوم سيتطلعون اليك
كألهة معبودة !

وعصت النمرة - المروضة المستأنسة - حارسها ..
ولكن لوشيس راح يربت على رأسها وكتفها فى حنان ..
ويناجيها بكلمات عذبة .. فما لبثت أن انصاعت وتبعته
ليبكس .. الى المركب .

واذ بلغ الشابان دار اميكل .. أوى لوشيس الى مخدعة
بعد أن ضغط يد آكتيه معبرا عن عواطفه .. بينما يعمت
الفتاة شطرحجرة أبيها تحييه قبل أن تلجأ الى فراشها .. فما
رأى العجوز شحوبها وما ارتسم على وجهها .. حتى سألها
عما بها .. فقصت عليه قصة النمرة وما كان من أمر لوشيس
معه .. فتمتم العجوز فى عجب وقلق :

- أى رجل هذا الذى يتسلى بالنمور .. ويصنر أوامره
للحكام .. ويجذف فى حق القياصرة المؤلهين !

ولم تكذ آكتيه تجسر أن تمس شعره الاشيب بشفتيها
كعبادتها كل مساء .. وانسحبت الى مخدعها .. وهى لا تكاد
تصدق أن كل ما مر بها كان حقيقة لا حلما .. وقبل أن

أن تخلع ثيابها • مست المنطقة الذهبية بأصابعها • • ثم
قربت منها المصباح • • فقرأت ما تمشى مع ما كان يجول في
خاطرهما « أنا ملك للوشيس ! »

الفصل الثالث

قضت كورنثة الليلة السابقة لبدء المباريات • • في
احتفالات صاخبة • • وفي صلوات في معابد الآلهة • • وكأنما
هي في عيد من الأعياد القومية الكبرى • • فلما كان الصباح
ازدحمت ساحة المصارعة بجموع زاخرة • • أعاد مرآها ذكرى
الأيام الرضية الرخية التي شهدتها كورنثة في أوج وعز
الاغريق • •

وكان أميكل أحد القضاة الثمانية الذين آنتخبوا للحكم
في المباريات • • ولذا كان مجلسه مقابلا لمقصورة الحاكم
الروماني • • وبدأ الملعب كخلية النحل الهائجة • • ومع ذلك
فقد كان خلوا من أية امرأة - مما حال بين آكتيه والحضور -
اذ كان الصراع يدور في حرية تتيح للمصارعين أن يتعروا
من كل لباس الأمر الذي لا يليق في حضرة النساء •

وكان المتقدمون للكفاح في سبيل البطولة ثمانية من
أقوى الشباب جسوما • • وامتنهم بنيانا بينهم اثنان من
كورنثة ، وواحد من طيبة ، وآخر من سيراكيوز ، وخامس
من سيباريس ، ورومانيان ، ثم لوشيس • • وتبعاً للتقاليد
تقدم كل منهم بدوره يقص المغامرات التي ترشحها لان يصارع
من أجل البطولة ، ثم أجرى بينهم الاقتراع ، لانتخاب من
يبدأ المباراة منهم • • ولتعيين دور كل واحد • • فكان من
حظ لوشيس أن يكون آخرهم • أي أن يصارع الصفوة التي
تبقى من بينهم بعد النزال •

ودار الصراع عنيفا .. استعرض الحضور خلاله أروع فنون الرياضة وأبدع حركات التزاح .. فانتهى أخيرا بفوز الطبيبى واحد الرومانيين . وحان دور لوشيس كى يصارع الفانزين .. تطلعت اليه الانظار ، وفيها شىء من الادراء وتوقع الفشل له . اذ بدا جسده تحت «عباءة» انتى كان يتدثر بها رخصا طريا ليئا ، فيه أنوثة ونعومة .. وسرت تمتعه بين الحضور .. لم يخف أمرها على لوشيس ، وان لم تنل من هدوئه واعتداده . فتقدم الى الساحة فى خيلاء ، وطرح عنه عباءته فحشف عن عضلاته النوية المفتولة رعم نحول جسمه ، وبضاضه بشرته . ولحق به سبورس فصب على لتفيه قنينة من الزيت المعطر راح يدلك بها جسده ، ثم نثر عليه كيسا مليئا برمل يخالطه تبر ..

وكان الطبيبى خصمه الاول ، فاقترب من الشاب الرومانى البادى اليسونة . وتأمله فى استخفاف ، ثم رد بصره الى جسده العملاق الضخم يتأمله فى اعتداد ، وهو يقارن بين قوته وقوة غريمه ، ولئن يدينه لم تكادا تمسان كتفى الرومانى ، حتى ندت من عينى هذا نظرة رهيبة ، وانبعث من حلقه زفير مروع .. ثم هبط الى الارض مرتكزا على ركبتيه واطبق يديه على خاصرتى الطبيبى .. ومدهما حتى التقيا خلف ظهره فعقدتهما وضغط بضمرة بطن الرجل وما لبث أن رفع الجسد الضخم بين ذراعيه فى سرعة ومهارة لم تدعيا للطبيبى فرصة للمقاومة .. فراح يضرب الهواء بيديه فى غير ما جدوى .. بل كان كلما زاد من جهوده .. أحس بنراعى لوشيس تزدادان ضغطا حوله حتى تصيب العرق من كل جزء من جسمه وتراخت ذراعاها ورأسه .. وانبثق الدم من فمه وأنفه وان هى الا فترة بسيطة حتى الفاه لوشينس

عند قدميه .. فاقد الرشيد .

ولم يصفق أحد ، لا ولم تنبعت أى صيحة أو هتاف ؛
بل ظل النظارة صامتتين جامدين لفرط ما ألم بهم من ذهول
لروعة مارأوا .. وأسرع العبيد يحملون الطيبي الصريع ..
وتأهب لوشيس لتزال الغريم الثانى ، ولكنه فوجيء بهذا
يتقدم منه ، فيركع أمامه رافعا ذراعه اعترافا بقوة لوشيس ،
وتنحيا منه عن منازلته ..

وفى عظمة وعزة . تقدم لوشيس من مقصورة الحاكم
فتسلم تاج البطولة . واذا ذاك أسرع ملاحو مركبه فحملوه
على أعناقهم . بينما ند اليونانيون عنهم ما داخلهم من احتياج
لفوز الرومانى دون الاغريقى بالبطولة . فحيوه فى أعجاب
وتحمس . حتى اذا بلغ أبواب المدينة ودخلها وسط موكبه ،
تلقتة النسوة والفتيات باكاليل الغار ، وباقات الزهور
والورود .. ولكن كل هذه الحفاوة والتمجيد ، لم يبقيا فى
نفسه أثرا حين بلغ دار أميكل . فلم يجد فائقته تستقبله
بالأكليل الذى كان يطمع فيه . فاندفع داخلا . فاذا بها فى
الحديقة الخلفية .. راحة أمام تمثال ديانا . وقد جمدت
أطرافها وشعب وجهها .. فتسلل خلفها . ثم وضع على
رأسها التاج الذى فاز به . فالتفت مسرعة لترى عينيه
عالقتين بها . وقد فاضتا بنظرات الزهو . تعلنان اليها
فوزه بأولى البطولات التى جاء يسعى لكسبها ..

وخرج أهل كورنثة - عن بكرة أبيهم - يسعون فى
اليوم التالى الى حلبة سباق العربات وعلى رأسهم الحاكم
الرومانى يقود عربة مطهمة . تحف بها فصيلة من الفرسان
والاتباع . على جياد مسرجة بالذهب .

وخلف هذا الركب ، أقبل موكب المتبارين يتقدمهم

لوشيس - تكريما له لفوزه فى اليوم السابق - وقد اتشح
بعباءة خضراء • وارتقى عربة من الصجاج والذهب • تجرها
أربعة جياذ بيضاء قبضت يد الرومانى الشاب على أعنتها
القرمزية .. أما رأسه فقد علاها التاج الذى فاز به فى
مباراة الصراع • وأما لحيته الحمراء فقد نثر خلال شعيراتها
تبرا راحت ذراته تومض متألقة كلما انعكست عليها أضواء
الصباح ..

وكان منافسوه أربعة • شابين من أبناء « أثينا » •
والثالث من أهل سوريا • والرابع أغريقى من (تساليا) •
ومن خلف هؤلاء سارت مواكب متعددة • متباينة •
تنتهى عند باب المدينة ..

ووصلت المواكب الى حلبة السباق حوالى الظهر • •
واقترح بين المتسابقين • حتى لا يشكو أحدهم من غبن لحق
به • فقد كان الميدان مستديرا • تتوسطه دائرة لا بد لهم
من أن يلقوا حولها وكان طبيعيا أن تكون المسافة التى
يقطعها أقربهم الى محيط الدائرة ، هى أصغر المسافات • •
وكلما ابتعد المتبارى عن المحيط • كلما طالت الشقة • • •
وكان من حظ لوشيس أن يكون الاخير فى الاقتراع • أى أن
يكون أبعد الجميع عن محيط دائرة الوسط • • ولكنه تقبل
حكم الحظ هادئا راضيا • •

ووقفت كل عربة فى البقعة التى عيّنت لها • وتأهب
الجميع • • وسرى اللغط بين آلاف النظارة السذين راحوا
يتنبأون بالنتيجة • ويتراهنون فى سخاء • وفجأة • انبعثت
دقات طبل خفت لها كل الاصوات • • وساد الهدوء والسكينة
الساحة • ثم دق الطبل من جديد • فتحركت العربات الأربع
منطلقة بكل ما فى الجيـاد من هرة • وتتابع المناظر

والمفاجآت • واجفلت بعض الجياد وأفلت العنان من أيدي بعض المتبارين • • وتالت الدورات • بينما ظل لوشيس دون زملائه هادئا لا يلكز جياده ولا يستحثها رغم طول المسافة التي كان عليه أن يقطعها • •

فلما كانت الدورة الرابعة حدث ما اجتذب أنظار الجمهور إلى لوشيس دونه من عداه • إذ هوى من يده سوطه ذو المقبض الذهبي فلم يشأ لوشيس أن يلمعه حتى لا يفوته قصب السبق • بل استوقف الجياد وقفز من عربته فانحنى والتقط السوط • • وعندما عاد كانت الشقة بينه وبين زملائه قد تباعدت • ووجفت قلوب أنصاره وقد وقر في نفوسهم أن قد ضاعت عليهم المبالغ التي وعدوا بها رهانا على فوزه • • ولكنه مال على جياده • وبدلا من أن يلهبها بسوطه أرسل من بين شفتيه صفيرا غريبا • فاذا بها تندفع كالريح وما انتهت الجولة الرابعة حتى كان لوشيس قد لحق بزملائه وفي الجولة الخامسة فقد الاثنى ميطرته على جياده فاندفعت كالاعصار الجامح لا يقوى على كبحها • •

وجمحت خيل السورى وهو عاجز عن ردها • • فكادت تسبق جياد الاثنى • ثم لم تلبث أن تعبت جميعا • فبدأت تفتتر • وتركت الفرصة لجياد الاغريقى القادم من تساليا • ولحيل الاثنى الآخر • فسبقتها • •

على أن المتبارين لم يكادوا يبلغون الدورة السادسة ، حتى كان موقفهم قد تغير كل التغير ، فارتد الجميع وبقى لوشيس والسورى وحدهما فى المقدمة ، وقد مضت جيادهما تنهب الارض نهبا ، وسنابكها تثير العثير حولهما فيلف العربتين فى ارادته • • وبدأ للجميع أن السورى هو السابق • وأوشكت الدورة أن تنقضى وهو ما يزال متقدما عن لوشيس

وفجأة ، رفع الشاب الروماني متوسطة ، وهوى به على ظهور
جواده حتى كاد الدم ينبثق منها ، فاذا بها تندفع مخلقة
جواد السورى خلفها تعجز عن اللحاق بها ..

وكان لوشيس هو السباق الى النهاية ، فانبعث
تصفيق الجمهور وهتافاتهم تصم الاذان ..

وكشخص اعتاد أن يفوز دائما ، قفز لوشيس من
عربته ، وتقدم فى خطى خفيفة ، شامخ الأنف مزهوا ، حتى
بلغ مقصورة الحاكم الذى نهض عن مجلسه يقدم اليه تاج
البطولة ، وما ان تحول الشاب المظفر عن المقصورة حتى أشار
فاذا ميبورس يبرز من بين الحشد فيقف بين يديه ممسكا
بحمامة أحاط لوشيس عنقها بخيط أرجواني ، ثم قطع
فرعين من التاج الذهبى فربطهما اليه ، وأطلق الحمامة فحلقت
فى الجو ميممة شطر الحى الذى يقوم فيه بيت أميكل ، حاملة
البشرى ..

كان لهما الانتصارين المتتابعين اللذين أحرزهما
لوشيس وقع عظيم وضجة كبرى فى كورنثه كما كان لهما
تأثير معنوى ونفستانى على نفوس الطامعين فى آخر تاج من
تيجان البطولة ، فما أن حان موعد المباراة الثالثة ، وكانت
فى الغناء ، حتى انسحب الطامعون تاركين الميدان للوشيس
ومع ذلك فقد صمم الحاكم على عقد المباراة فى موعدها ، ولو
لم يتقدم لها غير الشاب الروماني الموفق المَحْظُوظ ..

واختار لوشيس قطعة شعرية عن ميديا ، قيل انها
من نظم الامبراطور نيزون نفسه . وقد قص فيها كف حمل
جاسون ميديا الى كورنثه ثم هجرها وحيدة مع طفلها فلم
تجد المسكينة من تصرف غير أن تترك الطفلين فى المذبح
لتصعد روحاهما الى حى الالهة ، ثم أرسلت الى غريمتها التى

سلبتها حبیبها حلة نفثت فیها السم . . ولكن أهل كورنث
لم یدركوا الحقيقة . فانتزعوا الطفلین من المذبح ومضوا
یرجمونهما حتی قضیا . فانتقمت لهما الآلهة بأن أرسلت علی
المدينة وباء حصد الاطفال حصدا . ورغم مرور خمسة عشر
قرنا علی هذا الحادث . فقد ظل القوم یحتفلون بالذكری
ویلبسون الاطفال فیها ثيابا سوداء . بعد أن یحلقوا لهم
رؤوسهم .

ولا تعیننا هذه القصة فی شيء . سوى أنها مقدمة
تمهد لوصف المباراة . . فقد انتقى لوشییس القصيدة التي
تتناول القصة .

ورفع الستار علی المسرح بینما كانت شمسن مايو تغمر
المكان وترسل من أشعتها السنة تلهب الجو وتشیع فيه حرا
خائفا . رغم السرداق الذي أقيم لیحمی الناس من شواظها .
وكانت آكتیه تجلس الی جوار أبيها فی الصف الاول .
وقد زانت شعرها القطعتان الذهبیتان اللتان أرسلهما
لوشییس الیها فی عنق الحمامة فی الليلة السابقة .

وظهر لوشییس علی المسرح . حاملا قيثارته . والی یمینه
الممثل (باریس) الذي كان مكلفا بأداء الحركات التي تمثل
ما یغنیه لوشییس . وبدأ الشاب المنظر بقطعة موسیقیة نمت
عن موهبة رائعة . ومهارة فائقة حتی اذا هفت الانغام
بعواطف الجمهور . واستأثرت باحاسیسهم . شرع لوشییس
یغنی . فاذا اللحن والصوت والمعانی - التي تضمنتها
القصيدة - تتسق فی انسجام تام . . وراح یصف کیف
اقترب (أرجو) - ستقین جاسون - من الشاطیء . حیث لقی
جاسون میندیا ابنة الملك تجمع الزهور . .

وأجفلت آكتیه اذ تنبعت الی ما فی ذلك اللقاء من شبه

بلقائها بلوشيس . . . وزاد وجيب قلبها اذ سمعت نفس
الكلمات التي تبادلتها مع الروماني . يتبادلها بطلا القصة .
وراحت تنصت وقد أمسكت أنفاسها . . . ولم تعد تستطيع
ان تفرق بين جاسون ولوشيس . فقد لاح لها بطل القرون
الغابرة . وحبيبها الروماني المظفر . يندمجان في شخص
واحد . . . وكأنما استعار الشاعر اسمي جاسون وميديا .
ستارا يخفي تحته اسمي لوشيس وآكتيه . . . فكما خافت
هذه النمرة . خافت ميديا من حية رقطاء استطاع جاسون أن
يقطعها بسيفه اربا . . . وكما أخذ لوشيس ينتزع تيجان
البطولة واحدا بعد الآخر . راح جاسون يتغلب على ماساقتة
له الاقدار من أعبداء ، زواحف ووحوش . . . ثم هرع الى
حبيبته التي كانت تتلف على عودته مظفرا . فراح يزجي
اليها كلمات الحب ويردد في أذنيها أهازيج الهوى . حتى
هجرت أباه العجوز . وفرت معه من آسيا الى أوروبا .
معرضة عن ماضيها مؤملة في مستقبلها . . .

وكان لوشيس وهو يغنى هذا الجزء مبدا استثار
مشاعر النساء الحاضرات . وأرسل في أعماق آكتيه فيضا
من الحب أغرق قلبها . فراحت تنصت بكل حواسها . وقد
علقت عينها به . ومضى صدرها الناهد يتهدج وهي تخال
أنها تستمع لقصتها مع المغنى . . . واذا بلغ في وصفه وداع
ميديا لأبيها العجوز ، حين قبلته وهو نائم فتساقطت دموعها
على وجهه . . . التصقت آكتيه بأبيها وقد شحب وجهها .
وأسنلت رأسها الى كتفه .

وانتقل المغنى الى الخاتمة التي تجول فيها المحب المستهام
الى غادر خائن ، والتي تبدل فيها الغرام في قلب ميديا الى
غيرة هوجاء . . .

وراح صوته المشجى يصور الحب ، والجنون والآسى
والفتور ، والحقد والانتقام . . فما فرغ حتى اهتزت اركان
المكان لعنف التصفيق والهتاف ، وانطلقت الورد والازاهير
من أيدي النساء تطير في الفضاء لتتساقط عند قدمي لوشيس
ولكنه لم يحفل بأحدى هاته المعجبات بل مضت عيناه تبحثان
عن واحدة بينهن ، يفوق اعجابه بها كل اعجاب به .

ووقعنا أخيراً على الكورنثية الحسنة ! وهى شبه فاقدة
الوعى بين ذراعى أبيها ، فبسط ذراعيه نحوها على ما بينهما
من مسافة - فانتزعت زهرة من شعرها ؛ والقتها بكل ما فى
وسعها من قوة ، فهوت فى الارض قبل أن تصل اليه ثم
ارتمت فى أحضان أبيها ، ودفنت وجهها فى صدره وطفقت
تبكى وهى ترى المدينة - لا الحاكم وحده - تتوج حبيبها
بأكاليل الفوز .

وعند فجر اليوم التالى ، انسابت السفينة الموشاة
بالذهب ، مبتعدة عن شاطئ كورنثة ، تحمل (ميديا) أخرى
هجرت أياها لتبقى الى جوار حبيبها .

وبينما كان البر يتوارى شيئاً فشيئاً ، حتى لم يعد
يبدو منه سوى جبال سيتيرون التى أخذت تتضاءل الى أن
غابت نقطة بيضاء تراقصت برهة على قمم الامواج ثم اختفت ،
كانت قوى آكتيه تتسرب حتى خانتها ساقاها ، فهوت فاقدة
الرشد عند قدمي لوشيس .

الفصل الرابع

عندما فتحت الحسنة الهاربة عينها مرة ثانية ، وجدت
نفسها ترقد على فراش فى المقصورة الكبرى بالركب ، وقد
جلس لوشيس على حافة السرير ، مسنداً رأسها الى ذراعه

بينما كانت النمرة الاليفة قايلة فى أحد الأركان ، مستسلمة للنعاس ..

ولاحت لها سماء بحر يونيان خلال الثغرة التى فتحت فى السقف للتهوية ، وقد نشر الليل تحتها ستاره الخالك ؛ ترصعها النجوم اللامعة ..

وانسابت السفينة فى رفق على صفحة الماء الهادئة .. وخف السكون بالكون ، وكأنما كانت الطبيعة كلها وسنانه ناعسة ، حتى لقد خيل لاكتية أنها تحلم فى خدر العنراء الذى كان يضمها فى بيت أبيها ..

وكانما كان لوشيس يقظا لاتفه حركة تند عنها ، فما ان لمح أجفانها تنفـرج عن حدقتيها الجميلتين ، حتى طقطع بإصابعه فأقبلت جارية حسناء حاملة شمعدانا أوقدت منه مصباحا ذهبيا يقوم على قاعدة برونزية عند قدمي الفراش . وراحت آكتيه ترمق الجارية منذ مقدمها ، وقد لاح لها انها لا ترى وجهها المليح للمرة الأولى ، فحاولت أن تبحث عن صورتها بين صفحات ذاكرتها ، ولكن الصفحات تكاثرت ، والذكريات تقاطرت ، حتى عجزت عن متابعتها فأغمضت عينيها ثانية ، واسلمت رأسها الى الوسادة وظن لوشيس انها تود النوم ، فغادر القمرة تاركا للجارية أمر رعايتها والسير عليها ..

ووقفت الجارية - بعد خروجه - ثرقبها برهة وقد كسا ملامحها حزن غريب لا تدرى له علة ثم استلقت على البساط القرمزى اللينق ، الى جوار « فوييه » - النمرة - بينما انبعثت من قلب السفين أنغام كتلك التى سمعتها آكتيه حين كانت ثرقبها وهى تقترب نحو شاطئ كورنثة من قبل .. وان كان صمت الليل قد أضفى عليها مزيدا من السحر والفتنة ..

ثم تصاعد صوت لوشيس وسط اللحن .. يغنى
لنبتون إله البحر .. فى عنوبة هفت بقلب الفتاة فعادت
تفتح عينيها .. وترقب سماء الليل الصحوحة المرصعة بالنجوم
وقد أخذ الاسى ينحسر عن قلبها مخلفا اياه فى غمرة الحب
وحده .. حتى اذا فرغت الاغنية .. غضت بصرها فاذا بعينيها
تلتقيان بعيني الجارية وقد فاضتا هما الاخريان بالاحاسيس
الزاخرة التى أثارها اللحن والصوت .. وزادت آكتيه وثوقا
بأنها رأت ذات الوجه من قبل .. فأشارت للفتاة فنهضت
إليها .

وظلتا برهة صامتتين ثم سألتها عن اسمها . وأجابت
الجارية .

— ساينا .

وبدا لها الصوت — كما بدا الوجه قبله — مألوفاً ..
فعادت تسألها :

— والى أى بلد تنتمين ؟

— تركت وطنى صغيرة .. فلست أذكر لى وطناً ..

— ومن مولاك ؟

— كنت حتى الامس ملكا للوشيس .. ولكننى اليوم
جارية آكتيه .

— أوقضيت فى حوزته أملاً طويلاً !

— منذ بدأت ذاكرتى تتفتح على الاحداث .

— فما أراك ولا شك الا مخلصه له ؟

— اخلاص الابنة لابيها .

ودعتها الى الجلوس بجوارها .. فترددت ثم تقلمت فى
خضوع وكأنما هى تؤدى واجبا أجبرت على أدائه .. فقربت
آكتيه منها وسألتها .

— أما رأيك من قبل ؟
فقلت متلعثمة : لا أظن .. فأنا لم أبرح السفينة طيلة
رسوها عند الشاطئ .

وساد الصمت ثانية . ثم قالت آكتيه وهي تتلمس
مشاعر الفتاة خلال أجاباتها :

— اننى أدرك ما يعتريك ياسابينا . اذ استبدلت بى
سيدك . ولذا فساخبر لوشيس انك غير راغبة فى فراقه ..
فقلت الجارية فى هلع : اياك ان تفعللى . فلا بد من
الصدوع لاوامر لوشيس اذا امر .
— هل يقسو اذا غضب ؟

فأجابتها فى لهجة ارسلت فى أعماق آكتيه خوفا لا تدرك
كنهه : بل هو قظيع فى قسوته ..
— ومع ذلك يبدو لى ان كل من يحيطون به يحبونه ..
فمثلا ذاك الشاب سبورس ..

وكانما كشف لها اسم العبد عن الفكرة التى كانت
تحاول ان تتذكرها فهتفت :
— او تعرفين سبورس ؟
— انه أخى ..
— واين هو الآن ؟
— بقى فى كورنثه .

وظهر لوشيس اذ ذاك عند الباب .. فشعرت آكتيه
أن يدى الجارية — وكانت قد أحوتيهما بين راحتيهما —
ترتجفان .. ووقف الرومانى يتأمل المنظر لحظة ثم قال :
— ألا تحبين أن تستمتعى بمنظر الفجر حين يطلع على
الكون يا حبيبتي آكتيه ؟

وأحسست آكتيه أن تحت النعومة والعنوبة اللتين تبدتا فى

صوته .. لهجته حادة شبه أمرة .. لم تسمعها قبيل اللحظة .. وسرى في صدرها شعور أقرب الى الخوف والفرع جعلها تشتت في رجائه أمرا يجب أن تطيعه للتو .. ولكن قواها لم تواتها .. فكادت تهوى اذ نهضت لولا ان اندفع نحوها فتلقاها بين ذراعيه .. وحملها فاستكانت في صدره رغم الخوف الذي تولاهما حتى وكأنه كان يحملها ليلقى بها في هاوية سحيقة .

وقال لها وهمسا يتكئان على سياج المركب ويسرحان بصريهما في الأفق :

- ان النسيم ليحمل إلينا عبر زهور (سامية) وادريج برتقال (زاسينتس) .. اتحب حسنائي آكتيه ان أشيعد لها قصرا في كل من هاتين الجزيرتين الشقيقتين اللتين لا يقر بهما الشتاء بأصابه الجليدية ؟

- لشد ما تروعنى يالوشيس حسين تزجى الى في بعض الاحايين وعودا لا يحققها غير الآلهة ! .. من أنت .. وما الذي تخفيه عني من أمرك ؟

- لست سوى مغن مسكين .. ترك له عمه كل ثروته على شريطة أن يكتنى بكنيته .. انما تكمن كل قواى يا آكتيه في الحب .. فبحبك أستطيع أن أواجه قوى العالم أجمع .

- اذن فأنت تحبتي ؟

- أجل .. ياغالية آ .

وأحست بسعادة غامرة تناسنت في فيضها كل شيء .

وطالت الرحلة ستة أيام كانت السفينة خلالها بين زرقة السماء والبحر .. حتى اذا كان اليوم السابع .. لاحت شواطئ مدينة (لوكري) وتسلفت السفينة الى مياه البحر التيراني .. التي ينعكس على صفحتها وميض نيران بركان

سترونجيلي ، منار البحر الابيض المتوسط الذي لا يخبو ،
ومضى المركب قدما ، حتى دخل الخليج الذي ترقد عند اقصاه
نابولي مستلقية عند قدمي بركان فيزوف ، فما أن لاحت
المدينة للانظار حتى أمر لوشيس ، فاستبدلت بأشرعه
أرجوانية .. قلاع سفينته البيضاء .. وتوج صاريها بغضن
من الغار اعلانا لفوزه .

ولم يك ثمة شك في انها اشارة متفق عليها .. اذ
لم تكد السفينة تبلغ البر .. حتى كان في استقبالها أهل
المدينة .. فتهادت الى الشاطئ بين اوسيقى والتصفيق
والهتاف .

وكانت في انتظار لوشيس عربية ذات جواد أربع
بيضاء .. امتطأها وقد توج رأسه بأكاليل من أغصان الزيتون
ودخل المدينة دخول الفائز المظفر .

وهكذا كان يستقبل أينما حل .. في طريقه الى
روما .. ومما ضاعف من حفاوة الجماهير به .. انه عندما
بلغ فوندي .. وجد في انتظاره عجوزا من أعرق عائلات روما
وأمجدها تاريخا .. قيل ان الآلهة تنبأت منذ القدم بأن من
أبنائها من سيرقى العرش يوما .. ثم حدث أن ذهب (جالبا) -
وهو اسم الرجل - في وفد من قومه لتهنئة أوكتافيوس ..
فما رأى الامبراطور حتى ربت على خده قائلا : « وأنت يا بني
ستمارس يوما سلطانا ، فشاع بين الناس أنه المختار من
أسرته لانتزاع العرش وحاول تيبريوس ان يضطهده اذ خلف
أوكتافيوس .. لولا أن عرافه تنبأ له بأن (جالبا) لن يرقى
العرش الا في أرذل العمر ، فاطمأن الى أنه لن ينافس
ويزاحمه .. فلما آل العرش الى نيرون .. وجد الرجل عجوزا
مهتما .. يقنع بعزلته وهدوئه .. فاطمأن الى كذب

النبوة •

وقضى لوشيس يومين في ضيافة جالبسا ، كان فيهما موضع حفاوة بالغة ولكن آكتيه لاحظت أنه لا ينام الا وسيفه تحت وسادته ، وأن فصيلة من الجند وفدت من روما لاستقباله كبطل منتصر فاذا بأفرادها يحيطون به كحرس ، ويسهرون الليل عند باب مخدعه ، مما أثار دهشتها وعجبها وإن لم تجسر على أن تسأل لما تراه تفسيراً •

وأقبل موكب البطل على روما أخيراً ، فنهلته آكتيه مما رأت فلقد تجلت المدينة الخالدة كعروس في ليلة زفافها ، وإذا الطريق إليها عبر جبال الالب ، تغص بالخلق بين ركب ومشاة ، خرجوا يستقبلون الظافر المنتصر ، ويسهرون في ركابه •• حتى اذا غلبوا على حوالى الميصل من أبواب روما ، استقبلتهم فصيلة من الفرسان • تقدمت الموكب وقد بدا البذخ حتى في المعدات التي جهزت بها الخيول •• وسمعت آكتيه اسم (لوشيس) يمتزج باسم (القيصر) ورأت الركب يمر تحت أقواس النصر ، وينحدر من السكايتول ، الى معبد جوبيتر ، وهناك هبط لوشيس ، وارتقى الدرجات الى حيث كان الكهنة في انتظاره ، فحفوا به وهو يسير الى تمثال المعبود ، فيركع عنده •• حتى اذا نهض قدم الى رئيسهم التيجان التي فاز بها ولوحا من الذهب ، حفرت عليه كلمات قرأها على الشعب في صنسوت جهير •• « يرفع لوشيس دوميتس كلوديوس نيرون هذه التيجان الثلاثة التي فاز بها في المضارعة وسباق العربات والغناء ، الى جوبيتر خير الالهة وأقواها » •

وبين ضيحات المتخمسين وهتافاتهم وتصفيقهم ، انبعثت هدهة زعر وجزع ندت من آكتيه التي تحققت أن الفقير الذي

بعثه لأنها أحبته ، لم يكن غير .. ثيرون القيصر ، نفسه !
على أن الامبراطور لم ينس آكتيه في غمرة الزهو الذي
بشيه لروعة الاستقبال ، فقبل أن تفيق من دهشتها ، رأت
بدين يقتربان منها ، ويسألانها في احترام أن تتبعهما فسارت
حلفهما دون أن تدري إلى أين يقودانهما ، أو تحاول أن
سألها .

وقد استولى عليها خوف لا تدري مآتاه ، وأخذت
لهواجس تعبث بها ، اذ رأت نفسها عشيقة للامبراطور الذي
م يحاول قبل اللحظة أن يظهرها على شيء من حقيقته .
وألقت في انتظارها تحت (الكابيتول) محفة يحملها
نقة من العبيد تزين صدورهم ألواح من الفضة البراقة ،
وتحيط بأذرعهم أساور من المعدن النفيس ، وقد جلست الى
جوار المحفة ، سابينا ، التي كانت قد نسيت أمرها .
واضطجعت آكتيه على الوسائد الحريرية الناعمة ،
فحملها العبيد الى قصر (البلاطين) وسابينا تسير الى جوارها
وصعدوا نحو التل ، حتى بلغوا (نافورة جوتورنا) أخيرا ،
فوقفوا أمام بيت صغير ملحق بالقصر ، وأسرع العبدان اللذان
بقادا آكتيه في بادئ الامر ، فوضعا سلمين الى جانبي المحفة .
وما ان هبطت الاغريقية الحسناء ، حتى فتح الباب .
ثم أغلق خلفها اذ اجتازته .. دون أن ترى أثرا لمن فتحه أو
أغلقه .

لوجدت نفسها وحيدة الا من سابينا التي قادتها الى قاعة
تستريح فيها .. فتهاكت على أول مقعد صادفها .. وهي
لا تزال بمساردة الذهن .. لا تكاد تلم شعث حواسها .. بعد
أن تفرقت بددا أثر الصدمة التي فوجئت بها حين اكتشفت
أنها إنما قطعت هذه الرحلة الطويلة في ركاب الامبراطور .

ولعل السيد القدير الذي جاء بها .. كان قد حدس
ما سوف يعروها فأشفق أن يدعها لافكارها فاذا بأنغام
تتصاعد في الجو من كل ركن في الحجرة .. كأنما دبرها
ساحر عليم .. وهفت النغمات الناعمة بأعصابها المكدودة ..
فارتاحت اليها .. وأمسكت دموعها .. وتراقص على شفتيها
شبح ابتسامة باهتة .

واذ ذاك .. اقتربت سابينا منها .. فراححت تنضو
عنها ثيابها .. وهي لا تحير حراكا .. أو تعارض .
فلما فرغت الجارية .. قادتها عارية الى حجرة واسعة
يتوسطها حوض كبير .. تلقتهما عنده جوار حسان .. زانت
شعورهن الزهور والأكاليل .. فأحطن بها .. ودفعن ناحية
حافة الحوض القريبة منها .. زورقا صغير من العاج .. كأنه
شطر احدى الاصداق .. فتقدمت آكتيه وكأنها في حلم
غريب وجلست في الزورق وما لبثت أن وجدت نفسها وسط
الحوض .. كفينوس تحيط بها جواريه .

وعادت الموسيقى الناعمة تسرى في الجو .. وانطلقت
الغواني يلعبن في الماء .. ويمزحن .. وقد تصاعدت
ضحكاتهن تملأ المكان مرحا .. فما هي الا لحظات .. حتى
وجدت آكتيه نفسها تنساق يغريزتها الى مشاطرتهن .
ثم لمحت سابينا على حين غرة .. تقف في معزل عن
الجميع خارج الحوض .. وقد أرخت على وجهها قناعا ..
فدعتها وهي تتضاحك .. ولكن الجارية أشاحت وأعرضت ..
فظنت أنها تخشى وهي الجارية الرقيق .. أن تشاطر عشيقه
الامبراطور مرحها .. فخرجت لها بنفسها من الماء .. وهرعت
نحوها وقد نسيت أنها عارية كما ولدتها أمها .. وأن الماء
يقطر من جسدها .. وراحت تجتذبها نحو الحوض في رفق

بينما كانت الغانيات يضحكن مما أصاب الجارية من ارتباك واضطراب .

والواقع أن آكتيه ذهلت إذ رأت الدماء تنحسر عن وجه سابينا فتخلفه أصفر شاحباً . . . وخيل إليها أنها موشكة على الإغماء ، فمدت ذراعيها وضمتها إلى صدرها . . . بيد أنها بسرعان ما دفعتها عنها ، وقد ندت منها صرخة حادة إذ عضتها الجارية في كتفها البضة . . . ثم اندفعت بسرعة خارج المكان .

وجرت الغواني إذ ظننها أصيبت بسوء ، حتى إذا تحققن مما جرى ، قدنها نحو الحمام الساخن وآكتيه في ذهول عميق مما حدث ، لا تدري لما أتته سابينا تعليلاً .

وكان البخار يتصاعد حاراً ساخناً فيعبق به جو الحجرة ولا يلبث أن ينعقد سحائب تملأ الفراغ ، حتى ضاقت أنفاس آكتيه ، فاذا بأحدى الجوارى تجذب سلسلة ، وسرعان ما انزاحت عن السقف صحيفة من ذهب . . . فاذا بثغرة انساب منها بعض البخار إلى الخارج وحل محله بعض الهواء البارد . وأحست آكتيه خواراً يدب في كل جسدها ، وتهالكا ، وكلالا ، ثم استسلمت لايدى المدلكات والغاسلات ، وهى في شبه نشوة وسنانة . . . فلما انتهين من التدليك والغسل ، تراجعن لتتقدم جاريتان نشرتا بينهما عباءة أرجوانية من الصوف ، دثرتاها بها ، ثم حملتاها وهى تكاد تكون فاقدة الحس ، إلى أريكه في حجرة أخرى .

وأقبلت جاريتان أخريان ، تدلكانها بالطيب والزيوت المعطرة ، وآكتيه صامتة ، مستسلمة في خوار معجب إلى النفس .

بيد أنها لم تلبث أن أحست بالبناب يفتح ، فظنت أن جارية جديدة قادمة ، وظلت في مرقدها ، لا تكاد تحرك طرفاً

من أطرافها •

وسمعت وقسع قدمين تقتربان حتى بلغت الأريكة ،
فبذلت كل ما بقى فى جسدها من قوة حتى استطاعت ان
تلتفت ، فاذا هى أمام امرأة فى ثوب كساها من قمة رأسها
حتى أخص قدميها ، تخطو نحوها فى جلال ومهابة ، وفى
خطى متئدة ، كأنها شبح يبرز من عالم الخيال •

وانحنى القادمة فوقها تتأملها بعينين نفاذتين خالتهما
آكتيه تتغلغلان الى أعماقها ، فتكشفان كل خبيثتها ••

وما لبثت المرأة ان قالت فى صوت رهيب ، وقد بدت
كل كلمة من كلماتها حادة جارحة كنصل السيف •

- أنت الكورنشية الشابة التى هجرت أباهها ووطنها
لتتبع الامبراطور ؟ •

وتضمنت هذه الكلمات القلائل كل حياة آكتيه ••
سعادتها وشقوتها •• ماضيها ومستقبلها ! وأحست الفتاة
بسيل من الذكريات يطغى على ذاكرتها ، ورأت بعين الخيال
مناظر طفولتها وصباها •• وتخيلت أباهها المسكين وهو
يناديهأ غداة قرارها من بيته فلا يجدها •• وذكرت تلك
الصدمة التى أذهلتها حين تبينت ان عشيقها ليس سوى
الامبراطور •• وما تبوالاها من خوف ورهبة اذ كشفت هذا
السر •• فغطت وجهها براحتيها وهتفت وهى تشهق باكية :
أجل •• أنا المتعوسة الشقية !

ومرت لحظات شعرت خلالها بعيني المرأة تتفحصانها ••
ثم أحسبت يدها تمتد فتمس راحتها فى رفق شجعها على أن
تتجاسر وتتطلع اليها •• فاذا عيناها لا تزالان مصوبتين
نحوها •

وقالت المرأة وصوتها محتفظ برهيبته وان شابهته رنة

اشفاق :

- ان القدر لغز غامض .. فهو قد يضع سعادة
امبراطورية أو دمارها .. في يد طفل صغير ! .. ولعل الآلهة
لم ترسلك لتكوني نذير نقمة .. وانما أوفدتك بشير أمل .
- لقد أجمت .. وما جريمتي الا انني أحببت .. ان
قلبي لا ينطوى على ذرة من شر .. واذا لم يكن مقدرًا لي أن
أسعد .. فكم أتمنى لو أستطيع ان أسعد غيري ! .. ولكنني
وحيدة .. ضعيفة لا حول لي ولا قوة .. ارشديني الى الطريق
تجديني أنطلق فيه لا الهوى على شيء .

- ولكن هل عرفت - قبل كل شيء - ذاك الرجل الذي
اسلمته مصيرك ؟

- لم أعرف قبل اليوم ان لوشيس ونيرون شخص واحد
وان حبيبي هو الامبراطور نفسه .. انني - بكل أغريقية -
بهرت بالقوة والجمال والغناء . فتبعت المظفر فيها دون أن
أدرى انه سيء العالم .. انه الشخص الذي نشأت على أن
أعتبره الها .

- اذن فأنت لا تعرفين عنه شيئًا .. فتعالى أحدثك
عنه .. اذ من حق العشيقة ان تعرف شيئًا عن عشيقها ومن
حق العبد أن يلم بطرف من قصة سيده .. لقد كان لوشيس
منذ مولده أبعد الناس عن العرش .. فاقترب منه بالزواج
.. ثم اعتلاه بجريرة .
فصاحت أكتيه :

- إنه لم يرتكبها .

- ولكنه الوحيد الذي أفاد من وزائها .. وما ان
غربت شمس كلوديس .. حتى أفلت في أثرها شمس
بريتا نيكس ، وكان نيرون في هذه المرة يرتكب الجريمة

أوترتابين في قولي يا فتى ؟ .. اذن .. فاسمعي كيف تم ذلك ..

كان نيرون يوما يلعب مع بعض الاطفال في حجرة تجاور القاعة التي كانت أجريبيننا تعقد فيها اجتماعاتها .. وكان بريتانيكس بين الاطفال .. فأمره نيرون أن يذهب الى قاعة المائدة فيغني للضيوف ظنا منه انه بذلك يرهب الصبي ويثير ضحك البلاط عليه . وصندع بريتانيكس بالامر وهو شاحب الوجه يادى الاسى والذلة .. فانطلق يغني قطعة (اشتينا ناكيسن) والدمع يجول في مقلتيه :

— آه يا أبت ! .. آه يا وطني ! .. آه يا قصر آبائي !
لقد رأيتك تتهدم تحت قبضة غريب ، وتغدو شعلة متقدة من نار !

فاذا بالضحكات تتلاشى ، وبالدموع تسيل من المآقي وسكت الماجنون في روعه الاسى وغمرته ...
ولكن هذا الحادث أوحى بمصير بريتانيكس وكانت في سجون روما اذ ذاك ، عجوز داهية تدعى لوكستا ، اشتهرت بحذقها في تحضير السموم ، فاستدعى نيرون أحد أعوانه وأوفده اليها .. اذ لم يجسر — وهو الامبراطور — أن يلقاها بنفسه ، فعاد اليه الرجل في اليوم التالي بالسم الذي ينشده .. ولامر من الامور ، لم يؤث السم مفعوله في بريتانيكس !

فاستدعى نيرون العجوز السجينة الى قصره ، وانفرد بها في مخدعه ، وحملها على أن تنكب الى جوار المدفأة على اعداد سم فاتك جرب مفعوله أولا في عنز ، ثم في وعل .. وذهب فاستحم وتطيب واكتسى بثوب أبيض ، وجلس وعلى ثغره ابتسامة الرضا ، الى مائدة مجاورة لتلك التي يجلس عليها بريتانيكس .

ومع أن كل طعام وشراب كان يقدم إلى عبده يتذوقه قبل أن يمسه بريتانيكس ، إلا أن الشراب في ذلك اليوم قدم إليه ساخنا جدا ، بعد أن تذوقه العبد ، فمما ارتشف منه رشفة حتى صرخ متألما ، وطلب ماء باردا يضيفه إليه ليخفف من حرارته .. وفي ذلك الماء دس السم ..

ومات بريتانيكس دون أن يصرخ أو يشكو ، أو يتألم .
وهرع بعض الحضور ، وبقى البعض جامدين لا يحIRON
حراكا ..

وكان نيرون يغنى اذ ذاك ، فقام وانحنى على بريتانيكس ثم قال :
- لا ضرر هناك ولا سوء .. سيستعيد حواسه بعد لحظات ..

وعاد يتابع الغناء ..
ومن ذلك اليوم أصبح نيرون نبيلًا ، وأصبح خليفة أسرة «أهينوبربس» - أي «ذو اللحن الحمراء» - فاضطهد أوكتافيا التي يدين لها باعتراف العرش ، ونفاها إلى «كمبانيا» حيث وضعها تحت رقابة شديدة ، ثم انكب على حياة اللهو والعبث والترف والبذخ التي أذهل روما بها عامين كاملين .
هذا البطل المظفر الذي تحبينه يافتاة .. هذا الامبراطور الذي يرفعه الجميع إلى مرتبة الآلهة لا يتورع عن أن يتسلل من قصره تحت جناح الظلام .. متنكرا في زي عبد أو خادم فيهرع إلى البؤر التي يرتادها حثالة الشعب وابنةاء احط الطبقات ، ويقضى الليل يردد على أسماعهم أغانيه .. ثم يخرج على رأس رفاقه الخليعين وقد عبثت الخمر برؤوسهم .. فيطوفون بطرقات المدينة .. يتبجحون على النساء .. ويؤذون الرجال .. ويقتحمون البيوت .. حتى يعسود إلى القصر

الذهبي ، ، وقد حمل - في بعض الأحيان - أثارا مخجلة ..
من ضربات أولئك الذين يستثيرهم فيردون عليه أذاه ..
فصرخت آكتيه : محال ! .. انك ناقمة عليه . تحاولين
تشويه سمعته !

- لست أقص عليك سوى الحق الصريح . اننى أمه !
فقفزت آكتيه من مجلسها .. وزكعت عند قدميها
هاتفة :

- أنت اجريبيينا ؟ .. ابنة وأرمل وأم الإباطرة ؛ ..
أتقف اجريبيينا أمام فتاة اغريقية بائسة ؟ .. أواه .. ما
الذى أفعله من أجلك . مرينى .. اطعك . الا اذا أردتنى على
أن أكف عن حبه .. فليس هذا فى طوقى رغم كل ما سمعت
منك ..

- بل ابقى على حب القيصر يا صغيرتى .. بكل الولاء
الذى كنت تدينين به فى الهوى للوشيس .. ففى حبك كل
ما بقى من أمل .. ان الطهر والبراعة اللذين يتجليان فى
حبك .. هما السلاح الذى يقضى على الشر والخبث الذى فى
حب غيرك .

- غبرى ! .. اذن فالقيصر يحب سواى ؟ .. ما كنت
أعرف ذلك .. فما خطر لى أن أسأل عن القيصر حين فررت
أتبع لوشيس ! .. لم يكن للامبراطور قيمة فى نظرى .. فقد
وهبت لوشيس حياتى وأنا لا أدري حقيقة شخصيته .. ومن
تلك المرأة اذن ؟

- ابنة لطخت شرف أبيها .. زوجة خدعت زوجها
وخانتة .. امرأة وهبتها الآلهة كل آيات الجمال .. وضنت
عليها بالقلب .. فلا قلب لها .. أنها ساينا بوبيا ،

— أوامه .. لقد سمعت قصتها من أبى .. وما دريت
انها ستكون يوما قصتي أنا الأخرى .. وهل هو باق على
حبها ؟ ..

فقالت وهى تسكب الحقد خلال كلماتها :
— أجل .. ولسبب خفى غامض .. للجنة كتلك التى
صنبتها قيسونة على كاليجولا .
— رحماك أيتها الآلهة ! .. أما كفانى عقابا .. أما
كفانى شقاء ؟ ..

— ان ماتعانيه ليقل كثيرا عما أعانيه .. فقد كنت حرة
فى أن تطرحى عنك هواه وان تهجرىه أما أنا .. فلم يكن لى
من خيار .. اذ فرضته الآلهة على فرضا .. حين جعلتنى
أمة هل عرفت دورك الآن ؟ .. أياك أن تفرى أو تهربى ..
الهم يقولون انه يحبك .. فعليك أن تجعلى هذا الحب يثمر
واحمليه بقوة على أن يطرح عنه السوء والخبث .. فتتقذى
بذلك روما والامبراطور نفسه .. انك المرأة الطاهرة الوحيدة
التي تستطيع اداء هذا الواجب .

وأقبل اذ ذاك عبد يندو آكتيه الى حضرة الامبراطور
فما رآته حتى هتفت فى دهشة وعجب : سبورس !
وغطت اجريبيتنا وجهها بطرف وشاحها .. وقالت لها :
— هيا اذهبى اليه !

الفصل الخامس

سدلت آكتيه على وجهها نقابا .. واتشاحت بمئزر
طويل سابغ .. ثم تبعت سبورس فى ابهاء القصر وردهااته
الطويلة الكثيرة التعرجات والانثناءات .. حتى بلغا بابا فتحه
سبورس بمفتاح من ذهب أسلمه اليها كي تستعين به اذا

هادت وحدها .. وقادها خلال هذا الباب .. الى حدائق
القصر النهبي .. الواسعة الشاسعة .. التي جمعت اندر
النباتات والزهور .. والتي تتنقل بين أفنانها اندر الطيور
وتسبح في بركها المائية وجداولها اندر الاسماك .. فهي قد
حوت كل نادر طريف ؟!

وسرت الخصرة اليانة والنسيم العليل عن آكتيه بعض
ما بها .. فقطعت الصمت قائلة : اذن فقد كانت سابينا
تكذبني القول حين زعمت انك بقيت في كورنثه يا سيبورس ؟
- بل حدثتك صدقا .. فقد تخلفت فعلا عن ركب
لوشيس .. ولكنني لم البث أن أبحرت في مركب اتجهت
رأسا صوب كالابريا عن طريق برونديزيم .. فبلغت روما في
ذات اليوم الذي وصل فيه الامبراطور ..

- لا بد أن سابينا ابتهجت لرؤيتك .. فانها تحبك
أبلغ الحب ..

- لا عجب .. فليسنا شقيقين فحسب .. بل اننا أيضا
توأمين .. ولكن سابينا لم يعد لها في روما بقاء .. أو
بارحتها كرجبة القيصر المقدس ..

- والى أين ذهبت ؟

- لست أدري ..

وأحست آكتيه بشيء من التردد والخرج في لهجة
العبد .. فلم تشأ أن تمضي في استئلتها .. وواصل السير
بين الاشجار الكثيفة .. والصمت يفرض عليهما نفسه
رفيقا .. حتى سمعت آكتيه صيحة آدمية متوجعة فاجفلت
مذعورة .. ولكن سيبورس طمأنها .. ذاكرا انهما يسيران
على مقربة من السجن الذي زج فيه. المسيحيون ليلقوا أحياء
الى الاسود في الحفلات العامة .. فجدت آكتيه السير مبتعدة

وهي ترتجف فرقا واشمئزاز واشفاقا على أولئك المتعوسين
من المصير القاسي الفظيع الذي ينتظرهم ..
ولاحت أخيرا أضواء القصر الكبير .. فما كان المبنى
الذي نزلت به سوى قصر صغير ملحق بالقصر الذهبي ..
وامتقبلتهما إلحان وانغام تنبعث منه .. فتمسلا الجو فتنة
وسحرا *

وسارت في أثر سبورسن الى ردهة القصر . ثم توقفت
مذهولة .. تتأمل المكان وترقب ما فيه من وشى بالعجاج
والذهب والبرونز .. وكأنما هي في حلم .. ولحت تمثالا
ضخما للامبراطور .. فارتجفت وهي تسائل نفسها .. أي
سلطان يستمتع به هذا الرجل الذي يقيم لنفسه تمثالا بهذا
الحجم . ويلحق بقصره حديقة تبرز أكبر الغابات .. بما فيها
من أحراش وبرك مائية وجدول وأشجار والذي يتلهى في
سويغات متعته وعبثه .. بالقباء الادميين أحياء الى الاسود
والنمور ؟! ..

وصعدت خلفه سبورسن الدرجات المؤدية الى الجناح
الخاص بلوشيس . فلما بلغا باب مخدعه .. استوقفت العبد
ووقفت برهة مترددة خائفة .. ثم تماكنت نفسها فأشارت
له ففتح الباب بينما كان قلبها يقفز في صدرها لفرط
الانفعال ..

ولمحت لوشيس مضطجعا على أريكة .. في ثوب أبيض
بسيط .. فتبخرت من رأسها الهواجس .
كانت تخال ان عواطفها قد تغيرت بعد أن وجدت ان
فتاها سيد العالم وحاكمه .. ولكتها ما كادت تراه .. حتى
تلاشت صورة القيصر من مخيلتها .. ولم تعد تلوح لعينيها
سوى صورة لوشيس بطلها المظفر الحبيب .. فهمت أن تندفع

نحوه لولا أن خانتها قواها .. فبحثت في منتصف الطريق
باصطة ذراعيها نحوه وهتفت :

— لوشيس .. انك مازلت لوشيس الذى عرفته ..
ليس كذلك !

فأجابها في رقة وحنان :

— أجل يا حسنائى الكورنثية .. لم أزل لوشيس فخفى
هناك ! .. ألم تحبيننى لاننى كنت صاحب الاسم .. لأصاحب
التاج .. والامبراطورية .. والملك العريض ! .. ألم تحبيننى
لشخصى لا لجاهى ككل من يحطن بى هنا ؟ .. تعالى يا أكتيه ..
ان الدنيا تحت قدمى أما أنت .. فبين ذراعى !

واندفعت اليه .. فألقت بنفسها على صدره .. وهى
تصيح :

— أواه ! .. كنت أعرف ان لوشيس ليس بالقاسى
الجاحد .. الذى يزعمونه !

— قاس .. جاحد ! .. من ذا الذى زعم ذلك ؟
— لا .. معذرة .. أن الاسد يعد أحيانا قاسيا .. لانه
قد لا يحسن قوته فيبطش بمن يحب حين يعبانقه .. أواه
يا أسدى .. هلا ترفقت بظبيتك !

— هونى عن نفسك يا أكتيه .. فان الاسد لا يشحذ
مخالبه وأنيا به الا ليؤدب من يعادونه ..

— لست خائفة من لوشيس .. فانه دائما ضيفى
وحبيبى الذى عرفته وهجرت من أجله الوطن والاهل طامعة
فى أن يجزىنى حبا عما ضحيت به فى سبيله .. انما أخاف
القيصر الذى نفى أوكتافيا أخاف نيرون زوج بوبيا المرتقب ! ..
فصاح وقد قفز من مجلسه .. وراح يحدق فى
وجهها :

— اذن فقد قابلت أمي .. اذن فهي التي نبأتك انني قاس .. والتي ذكرت لك أمر أوكتافيا التي أمقتها .. والتي تظلمها هي بحمايتها .. والتي دفعت بها إلى على الرغم مني .. فلم أتخلص منها الا بعد عناء ومشقة .. آه شديدا تخطئان حين يجول بخاطريهما ان بوسعهما ان تنالا مني شيئا بما تدبرانه من وشايات وتحركات من مؤامرات .. لقد كدت أنسى هذه المرأة التي جعلتها الآلهة خاتمة لسلالة لعينة ولن أسمح لأحد أن يذكرني بها !

ولم يفرغ لوشيس من كلماته ، حتى كانت آكتيه قد تهالكت شاحبة الوجه ، مغرورة العينين مبهورة ، جزعة ، ولكنه استطرد وفي عينيه تلك النظرة التي طالما بعثت الفرع في روما بأسرها :

— أجل ، لابد أن أجريبيننا قد ذكرت لك أن حبك لي سيكلفك غاليا ، وزعمت لك أنك لم تحبى غير وحش مفترس لابد أنها قصت عليك موت بريتانيكس ويوليوس مونتانس ، وغيرهما .. ولكنها حرصت على ألا تحكى لك أن أحدهما حاول أن يسلبني عرشي ، وأن الآخر ضربني بالعصا على وجهي .. لكأن حياة أمي أظهر وأعف من حياتي !
فصرخت آكتيه :

— لوشيس .. كفى يالوشيس بحق الآلهة !
— لقد أفضت لك بنصف أسرار الاسرة .. فسمعيني أبوح لك بالنصف الآخر .. هذه المرأة التي تلومني لموت طفل .. نفاها أخوها كاليجولا يوما لخلاعتها واستهتارها رغم أنه كان أبعد الناس عن المغالاة في التمسك بالآداب والأخلاق .. فلما ولي كلوديس العرش ، دعاها من منفاها فتزوجت من كريسيوس باسينس ، سليل إحدى الاسرات

العريقة ، فكان من الغباء بحيث أوصى لها بكل ثروته ، فلما استبطأت موته ، دبّرت مقتله .

ثم بدأ الصراع بينها وبين ميسالينا ، ففازت بكلوديس وغدت عشيقه خالها . . . ومن ثم نشأت عندها فكرة الاستئثار بالحكم عن طريقى . . . وكانت أوكتافيا - ابنة الامبراطور - قد زوجت من سيلانوس ، فتآمرت على اتهامه بالزنا ، فلم يلبث أن انتحر . . . وغدت أوكتافيا أرملة .

وتحولت فدبرت مقتل لوليا باولينا ، منافستها في الفوز بقلب الامبراطور . . . واذ ذاك خلا لها الجو فتزوجت من خالها - كلوديس - وسعت حتى حملته على أن يتبنانى . . . وعلى أن يستصدر من مجلس الشيوخ قرارا بمنحها لقب (أوجستا) .

فلما تم لها ذلك . . . دست السم لكلوديس واستعانت عليه بطبيبه الخاص اكرينوفون - فغدت أرملة للمسرة الثالثة

ثم رفعتنى الى العرش لتحكم باسمى ولاكون متارا تلعب من ورائه . . . على أننى لم أكدر أرى فظائعها وجرائمها حتى ناهضتها . . . فذكرتنى بأننى لست من الاسرة المالكة . . . وما أنا الا ربيب الامبراطور وراحت تحمى الآلهة أن حفظت لها حياة بريتانىكس ليث عرش آبائه .

واقسم لك أننى ماكنت حتى ذاك اليوم أفكر فى هسدا الطفل الا بقدر ما أفكر الآن فى أوكتافيا لم يكن السم الذى دسسته له هو السبب فى موته . . . انما كان السبب تهديدها لى بأحلاله على العرش محلى . . . ومن ثم . . . لم أقتله تلهذا بالجريمة . . . وانما رغبة فى اخلاء الطريق من مزاحم على الحكم والسلطان . صبرا وأسمى . . . ولو أن ماسأقوله كفىل بأن

يجعل كل غدراء في براءتك وتكسأ تقسمك كانت خطوتها
التالية للتسلط على .. ان سعت لتغريني على أن اتخذها
- وهي أمي - خلية وعشيقه .

فصرخت آكتيه في ذعر : أواه .. كفى !
- وفي إحدى المآدب .. وعلى مرأى من الحضور ..
تقدمت مني في أبهى زينتها .. وهي تكاد تكون عارية ..
وخشى أعداؤها أن يستهويني جمال جسدها - الذي لا ينكر
مبهره أحد - فزجوا ببوبيا بيني وبينها .. فما رأيك الآن
في أمي يا آكتيه ؟ هذه هي أسرتنا التي يجعل الناس من
أفرادها آلهة مقدسة ! كلنا قتلنا وسفكنا الدماء .. وارتكبنا
أفظع الجرائم .. هي هوية توارثناها .. فكانت مبعث لذة
لكل منا .. ولو أنني استطعت .. لقتلت أمي !
فندت من آكتيه صرخة فزع .. وانكفات على وجهها
باسطة نحوه ذراعيها .

ولكن القيصر استطرد وعلى شفتيه ابتسامة غريبة :
- أو تأخذين على محمل الجد ما قصدت به مجرد المزاح ؟
رفهي عن نفسك يا حيمقائي الصغيرة .. فما جئت لتقضي
أيامك فريسة للخوف والفرع .. ؟ أو خفت حين استدعيتك
أن ألوى ذراعيك .. أو أفصل ساقيك عن بدنك وأنا اطوقك
بذراعي .. ؟ أفيقي .. أنا القيصر ؟ أنا فيرون ؟ أنا ابن
أجريبينا ؟ أنك تحلمين يا ابنة كورنثية الساحرة .. فما أنا
إلا لوشيس المصارع .. سائق العرببة .. المغنى ذو القيثارة
الذهبية والصوت الجميل .

فقالت وهي تسند رأسها الى كتفه :
- كم يخيل الى أحيانا أنني في حلم لن ألبث أن أصحو
منه فأجدني تحت سقفه أبي .. ألا رفقا بضعفى يالوشيس

ولا تسقنى الى الجنون •

— وانى لك هذه الهواجس يا خاتنتى ؟ اذا لم يرضك هذا القصر أقمت لك آخر من ذهب وفضة واذا شممت من العبيد الذين يخدمونك تقصيرا فى احترامك فمرى يساقوا الى الموت سوفا •• كل بغية لك نافذة •• فتمنى تعطى ! •

— أعرف ان لك من السلطات ما يمكنك من أن تتيح لى كل ما أطلب ، الا راحة البال ، والاطمئنان الى أن لوشيس لى وحدى •• لا يزال أمامى جانب من نفسك ينزوى تحت ظلمات الغموض •• انما أنت لروما ، للامبراطورية ، للعالم كله ، لا لى وحدى •• لك أسرار خفية ، وفى قلبك تعتمل البغضاء نحو أناس لا أعرفهم ، ويخداج الحب لقوم لا أدري من يكونون •• فى أشد لحظات انتشائنا بالحب ، قد يفتح باب من خلفى — كما يحدث الآن فعلا — ويشير اليك حاجب بإشارة خفية لا أدركها •

فقال نيرون للحاجب الذى بدأ عند الباب فعلا :

— ماذا هناك يا انيستس ؟

— المرأة التى أمر بها القيصر المقدس • فى انتظار

مولاي •

فقالت آكتيه وقد انصرف الحاجب :

— رأيت ؟ • أنها امرأة •• ولقد رأيتك تجفل عندما

سمعت اسمها •

— أوليس ثمة عاطفة تبعث على الاجفال ، غير ذكر

الحب ؟

— انى لاعرفها يالوشيس •• انها •• انها بوبيا •

— بل أنت مخطئة ، فما هى غير لوكتا !

وغادر نيرون مجلسه فسلك بعض الردهات السرية

الخفية ، التى لا يعرفها سواه وسوى نفر من أخلص خدمه
وعبيده حتى انتهى الى حجرة صغيرة لا نوافذ لها . . سوى
ثغرة فى سقفها يتسرب منها النور والهواء . . ولا تكاد تتسع
لاخراج سحب الدخان المنبعثة من مبخر برونزىة نشرت فى
جنبات الحجرة . . الى جوار أوعية وقنان من زجاج ، مختلفة
أشكالها وحجومها وألوانها ، أحكمت سداداتها وأغطيها . .
وعلى جوانبها كتابات غريبة . . ولفها جو غامض . وكانت
العين تقع فضلا عن كل هذا . . على أعشاب ونباتات مجففة
من كل نوع وصنف . . وعلى رؤوس واذناب ثعابين واجزاء
اقتطعت من أجسام مختلف الحيوان الكاسر والليف . .
مجموعة من أشياء غريبة متباينة ، تبعث على الرهبة . .
وتوحى للدخل بحقيقة المكان .

فهنا كان الوكر الذى تجرى فيه عمليات السحر وتحضير
أفتك السموم مما يستعين به الامبراطور على تحقيق أغراضه
ومطامحه .

ووجد نيرون فى انتظاره هناك امرأة اتشحت بالسواد
وقد انكبت على أحد النباتات فى استغراق جعلها لا تظن الى
مقدم الامبراطور . بل ظلت فى عملها وقد انعكست على
وجهها ألوان من الخوف والبغضاء والاشتمزاز .

فلما انتبهت أخيرا . تطلعت اليه فإذا وجهها ينم عن
أنها لم تتخط السابعة والثلاثين من عمرها . وإذا على قسماته
مسحة من جمال عفى عليه طول السهر والاسراف فى اللهو
والعبث .

وبادرت نيرون متسائلة :

— ما الذى تبغيه الآن منى ؟

فأجابها :

- أو تذكرين المأهى أولاً ؟ أو تذكرين كيف انتصبتك
من غياهب السجن حيث كنت تعانين مرارة الموت البطيء ..
فى بقعة قنرة مليئة بالهوام والحشرات ؟ أو تذكرين كيف
شهدت لك بيتا خاصا زودته بأفخر الرياش . كأنما اقمته
لعشيقه غالية ؟ . لقد جعلت من مهنتك التى كانت تعتبر
من قبيل الاجرام .. فنا من الفنون التى ينظر اليها بعين
الاحترام .

- ولقد جازيتك عن هذا بأن اتحت لك نصف سلطان
جوبيتر .. جعلت الموت رهن اشارتك فمن الذى تسمى لموته
هذه المرة ؟

- انه عدو خطر ، قوى لا يستطيع ان أهمل باسمه
ولو لتمثال الصمت والكتمان . كل ما عليك هو ان تعرمى
على أن يكون السم فى هذه المرة فعلا يقتل لأول وهلة .

- ليس أسهل من تحضير سم فتاك .. ولكننى لم
أسألك عن الضحية الجديدة الا لأعد لكل حال لبوسها ..
فلعلك تعلم ان من الناس من يروض امعاءه على تقبل السموم
فهو يزجى اليها جرعات متفاوتة منها .. أنا بعد آخر . حتى
تعتادها . فلا تتأثر بها .

- للمرة الثانية أذكر لك اننى لن أفضى لك باسم
عدوى . فسلى فبك وسحرك أن يعوضاك عن ذلك .
- اذن ، فلن أستطيع اعداد شيء هنا .. فدعنى أنصرف
وسأعود بعد ساعتين .

- بل اننى سأصحبك ولا تخشى شرا فساكون وحيدا
معك ..
وتبع الساحرة فغادرا القصر الذهبى ، واتخذتا سبيلهما

خلال طرقات روما المعتمة ، دون ان يتبعهما جندى أو يحرسهما ، أو يسبقهما عبد يضيء لهما السبيل . . حتى اذا بلغا بيت (لوكستا) طرقت الباب طرقة خاصة ، ففتحت عجز أفسحت لهما الطريق ، فيممت لوكستا شطرا المكان الذى اعتادت ان تعد فيه سمومها ، والقيصر فى أثرها .
وكانت الحجرة ممتلئة بالهياكل العظيمة والموميات المصرية ، والتماسيح والزواحف المحنطة وتبين الامبراطور وسط هذه المجموعة العربية ، جمجمة انسان التفت حولها حية رقطاء تطلعت اليها لحظة بعينين كأنهما جمرتان متقدتان ثم تحولت الى اناء به لبن ، دهمت فيه رأسها وراحت تلعق مما احتوى . .

وأشعلت لوكستا نارا أخذت تذكى ضرامها ، ثم أرسلت من بين شفتيها صفيرا حادا . فسعت اليها الحية فى خوف وتردد .

فانحنى المرأة وثبتت أصبعين حول رأسها ورفعتها معرضة الرأس للهب . . وتلوت الحية فى ألم وابيض جلد لها اذ تحلل ما فيه من سم وأخذت ترتجف ثم انطلقت من فيها ثلاث أو ربع نقط من هذا السم فسقطت على الجمر .
وكان هذا كل ما ابتغته لوكستا . فأفلتتها ، وتناولت الجمر فوضعت فى قطعة من قماش وغادرت البيت تقود عنزا صغيرة والامبراطور يتبعها فى صمت حتى بلغا (تل اسيكيلين) واشرق القمر اذ ذاك ، فلاح لآعينيهم جثث المجرمين والمسيحيين . . وقد علقت على عمد من خشب بعد اعدامها .
وسارت لوكستا حتى بلغت كثيبا ركعت عنده ، فاحتفرت فى الارض حفرة ألقت فيها بالجمرات ثم أدنت العنز ، وقطعت

الشریان الذی یجری فی حلقها ، وأطلقت مافاض منه من دماء
على ما فی الحفرة ..

وراحت تتمتع خاشعة ، فی استغراق ، برهة طويلة ..
ثم نهضت أخيرا وقالت :

— لقد عجز كل ما فی طاعتي من قوى السحر ، ازاء
مالديها من سلطان •

— أو تعرفين اذن ضحيتي ؟

— أجل ، انها أمك ..

— حسنا ، سأبحث عن وسائل أخرى تنيلني بغيتي •

وانصرف الى (القصر البلاطيني) فی طيات الظلام •

وفي الصباح التالي تلقت آكتيه رسالة من حبيبها يدعوها

الى اللحاق به فی (باييه) حيث اعزم — برفقة أمه أجريبيننا

ان يحتفل بعيد (مينرفا) •

الفصل السادس

كانت الساعة العاشرة من مساء احدى الليالي بعد أسبوع

من الحوادث السابقة ، وقد بزغ القمر .. وأرسل أشعته تغمر

خليج نابولي .. حيث راحت بعض القوارب تتسلسل من آن

لآخر • هادئة كأنها تخشى أن يعتكر صوت ارتطام مجاذيفها

بالماء .. أو حفيف احتكاكها بصفحته .. صفاء الليل

وهلوه •

وانقضت ساعة أخرى • ازداد الليل فيها هدوءا وسكينة

والسما صفاء واشراقا .. والبحر استكانة ونعاسا • وبدأت

الليلة من أروع ليالي نابولي الساحرة •

وفجأة ، رأى ملاحو السفن الراسية قرب الشاطئ

أضواء مشاعل تنعكس من بين أشجار البرتقال التي يقبع
خلفها قصر (باولي) . . . وسمعوا أصواتا تزخر بالمرح
والسرور . . . ثم رأوا جماعة تبرز من بين الأشجار ساعة
إلى قوارب كانت تنتظر عند الشاطئ ، يتقدمها مركب ضخم
تألق تحت وهج المشاعل مازين به من وشى بالذهب والفضة . .
ودهش الملاحون إذ رأوا على رأس الجماعة القيصر
نيرون ، وقد اتكأت على ذراع أمه أجريبينا ، وشاع في وجهيهما
البشر والحبور . .

كان المنظر خليقا بأن يبعث على الدهشة حقا ، فما رأى
الناس أجريبينا في صحبة نيرون ، وفي مثل هذا السرور ،
منذ موت بريتانيكس . . .

ولما بلغوا حافة الشاطئ ، أقبل نيرون على أمه يقبلها في
حنان مصطنع . ثم قادها إلى المركب وتحول إلى ربانه قائلا :
- اننى أعهد بأمى إلى رعايتك يا انيستس . ولن أشفق
عن أن أطيح رأسك إذا مسها أى سوء . . .

ووقفت أجريبينا تلوح لابنها حتى ابتعدت السفينة عن
الشاطئ . فأوت إلى مخدعها . . غير أنها لم تكد تضطجع بين
الوسائد الوثيرة . حتى انزاحت إحدى الستائر . وبرزت من
خلفها فتاة شاحبة اللون مرتجفة الاوصال . ألقت بنفسها
عند قدمي أم نيرون هاتفة :

- أماه ! . . . أنقذيني ! . .

وبهتت أجريبينا إذ عرفت في الفتاة تلك الاغريقية
الحسنة . التي حملها ابنها من كورنثة فمدت يدها وانقضت
قائلة :

- آكتيه ! . . أنت على ظهر سفينتى حقا ؟ . . ومن
تسأليننى أن أنقذك . ولك من القوة والسلطان ما أعاد إلى

صداقة ابني ووده ؟

— منه .. من نفسى .. من حبنى .. من البلاط الذى
يبعث الفزع فى أعماقى .. من هذه الحياة الغريبة الجديدة
على .. لعلك لاحظت اننى اختفيت أثناء المأدبة دون أن اعتذر
الى الامبراطور فهل كنت ترين فى وسعى أن أمكث وسط هذا
العبث الذى تتضرج لفرطه وجنات كاهنات فينوس خجلا ؟ ..
أما سمعت أغانيهم يا أماه ؟ .. أو مارايت المحظيات والجوارى
العاريات يرقصن فتثير كل حركة منهن أدنا مشاعر الرجال ..
لم اطق رؤية هذه المخازى .. ففرت الى الحديقة .. فاذا بها
باب أفضى بى الى البحر .. فرأيت السفينة وعرفتها .. وأوهمت
الحراس انى من حاشيتك .. واننى أمرت ان أبقى عليها فى
انتظارك .. وبين الملاحين والجنود نعمت بجو أنقى وأصفى
مما كنت استنشق وأنا بين نديون ونخبة نبلاء روما ..
لست أبغى سوى أن تؤوينى فى قصرك المطل على بحيرة لوكرين
ولو كخادم أو جارية ، وان تتيح لى نقابا يستر خجلى وما
أحس به من أستحياء ..

— اذن ، الا تبغين أن ترى الامبراطور مرة أخرى ؟ ..
أتحبين أن تهجرىه فيتداعى وسط هذه المبادل العابثة
الصاخبة ، تداعى السفينة وسط الامواج العاتية ! ..

— أواه ، يا أماه ! .. لو لم أكن متيمة فى حبه ،
لراجعت نفسى وبقيت معه ، ولكننى أوقن انك تربئين بى عن
ان أراه يضفى حبه على تلك الخليعات ويساوين بى .. اننى
لو بقيت بين الاشبار فلن البث أن أعدو شريرة .. لو اننى
مكثت وسط تلك الماجنات لجاريتهن فى المجون ، ولسعيت
مثلهن بالدس والوشاية ، ولساهمت معهن فى تدابيرهن
ومؤامراتهن ..

وأمسكت فجأة إذ رأت أجريبيينا تنعم النظر خلال نافذة
قمرتها ، ثم تصيح فجأة داعية أحد خدماها ، قائلة له :
مالى أرى السفينة تسعى الى عرض البحر بدلا من أن
تتجه صوب قصرى القائم عند بحيرة لوكرين ؟ .. أدع
انيستس الى .

ولكن الخادم عاد بعد لحظات كان القلق خلالها يفرى كبدها
فقال : ان انيستس يرفض ان يطيع أوامر ك ، وقد دعا رجاله ان
ينزلوا الزوارق الى الماء .

وقفزت من مضجعتها مغضبة تسعى اليه ، ولكنها فوجئت
بسقف الحجرة ينهار ، فصرخت والقت بنفسها بين ذراعى
آكتيه .. وأيقنت المرأتان بالهلاك .. وتصاعدت الصيحات
والصرخات من كل صوب .. وزلزلت السفينة تحست أقدام
أجريبيينا وآكتيه . واندفع الماء خلال الثغرات يطغى فيغرق
السطح ..

وادركت أجريبيينا ان الموت قد أحاط بها من كل مكان ،
فلم تتردد فى أن تلقى بنفسها الى البحر داعية آكتيه أن تحذو
حذوها ، فما ان فعلتا ، حتى رأتا السفينة تغوص هابطة الى
القاع .. وغاصتا فى الماء وهلة خالتاها عاما ثم ارتفعتا الى
السطح ثانية . فاذا القوارب تسعى بالرجال ، واذا برأس
يبرز من تحت الماء فيصيح : « النجدة ! .. أنا أجريبيينا ! ..
أنا أم القيصر ! » .

وكادت آكتيه تفعل مثلها ، لولا أن رأت أحد المجذفين
يرفع مجذافه فيهوى به على الرأس حتى أرسله وصاحبته -
التي لم تكن سوى جارية كذبت فى سبيل النجاة - الى قاع
البحر .. فغطست آكتيه وأجريبيينا مرة أخرى تحت الماء ،
ريثما ابتعدت القوارب .

وأخذت أم القيصر وخليته تسبحان نحو الشاطئ في صمت ، بينما أسرع انيسبتس في زورق نحو « باولى » يكاد يطير غبطة ، اذ ظن أن المهمة التي اناطها به مولاه قد تمت على خير أداء ..

وكان الشاطئ بعيدا .. ووجدت آكتيه واجريبيناس نفسيهما بعد أن جهدا في السباحة نصف ساعة ، لا تزالان بمعناى عنه بما يزيد على الميل .. وكانت كتف اجريبيناس قد أصيبت بجرح بالغ لم تظن اليه في بادىء الامر ، ولكنها سرعان ما استشعرت وخزه ، حين هذ التعب قواها . وأدركت آكتيه ما أصابها من اعياء ، فاقتربت منها وتناولت ذراعها ، فاسندتها الى كتفها .. ومضت تسبح وهي تجرها جرا ، رغم الحاح هذه في نصحتها ان تدعها وتنجو بنفسها .



في تلك الاثناء ، كان تيرون قد عاد الى قصر « باولى » فاستأنف العبت في الحفلة الصاخبة الماجنة ، التي كان قد أقامها في ذلك المساء .. ولكن ضجيج اللاهين لم يستطع أن يطفئ على هواجسه فكان يرتجف من حين لآخر ، ويحس بالعرق يفصد من جبينه .. ويخال أنه يسمع آخر صرخات أمه وهي تغرق ..

وبعد ساعتين .. أقبل عبد همس في أذنه كلمات لم يسمعها سواه .. فألقى القيثارة من يده ، وشحب لونه .. ثم اندفع مغادرا قاعة المأدبة .. تاركا خلفه فرعا شرى الى قلوب الحاضرين .. فمما كان أحد منهم يتحدث شيئا من الاحداث الرهيبة .. أو يعترف الحطة الفظيعة التي كان الامبراطور قد دبرها .. وأطرق الكل صامتين .. بينما أوى

ليرون الى مخدعه • وارسل في طلب ائيسثس • فما أقبل
حتى بادره قائلا :

— لم قلت لي أنها غرقت •• وقد اتاني منذ لحظات
رسول منها ؟ •

— بل انني رأيتها بين طيات الموج •• ورأيت مجذاف
أحد الرجال يهوى على رأسها حتى هشمه وارسلها الى
قاع اليم ••

— أخطأت •• فما المقتولة غير إحدى جواريتها •• أما هي
فقد نجت •• كما أكد خادمها ••

— وما الذي يعتزمه مولاي ؟

— اذا كنت واثقا من أن في مكنتي الاعتماد عليك ••
فاختبئي في الغرفة المجاورة •• حتى اذا صرخت أطلب
النجدة •• فتعال واقبض على رسولها •• وازعم أنك وجدته
يشهر خنجرًا أو سيفًا يريد قتلي ••

وإذا خلا نieron الى نفسه •• دعا برسول اجريبيينا أن
يقاد اليه •• وراج ينصت اليه وهو يقص عليه نبأ غرق
السفينة •• وكيف راحت اجريبيينا تسبح جاهدة حتى اذا
أخذ التعب منها كل مأخذ •• وأوشكت ان تستسلم للامواج ••
وقد خبا في صدرها كل بصيص للامل ، مربها قارب صيد
انقذها وحملها الى قصر بحيرة لوكرين ، فما بلغت القصر حتى
بادرت بازجاء النبأ الى ابنها تطمئنه ، وتدعوه الى زيارتها ••

وانصت نieron متظاهرا بالجزع والهلع ، الى أن أتى
الرسول على نهاية القصة •• وفي حركة خاطفة ، القى نieron
سيفا بين قدمي الرسول ، على حين غرة ، وفي مفاجأة اربكت
الرجل واجمت لسانه •• وأطلق نieron صراخه يطلب النجدة ••

فأقبل أنيستس ورئيس الحرم ، والقي القبض على رسول
اجريبيننا الذي غمره الذهول ، فلم يحر حراكا ..

وانطلقت الالسنه فى ارجاء القصر تشيع ان اجريبيننا
دبرت مكيدة لقتل الامبراطور ، فأرسلت له رسولا انتهز
فرصة انفراده به ، فأوشك ان يقتله ، لولا رعاية الآلهة
للقصر المقدس ..

أما ما حدث لاجريبيننا ، فلم يعد ما قصه الرسول ، وان
استقطت اجريبيننا زعمدا من رسالتها بعض حوادث .. فلم
تذكر ان آكتيه كانت معها ، حتى صادفها زورق الصياد ،
ففضلت أن تعهد اليه بأمر الامبراطور ؛ وسكنت هي الى
الشاطئ ، حتى لا يكشف احد ما كان من أمرهما معا ،
وما كان بينهما من صلة .. واتجهت آكتيه الى الشاطئ
المقابل لمرفأ باولى ، بينما سألت اجريبيننا الصياد أن يتجه
صوب المرفأ نفسه ..

وكان أنيستس فى عودته ؛ قد نشر نبأ غرق المركب
وفيه أم القيصر .. متظاهرا بالحزن والهلح فأخذت وفود
الناس تتقاطر على الشاطئ .. وأثار الحادث ضجة وصخباً ..
فلما بلغ القارب المرفأ وهبطت منه اجريبيننا . ذهل القوم
يرهة .. ثم هرعوا يستقبلونها فى عاصفة من إفرح الصادق
الخالص .. ولكنها لم تشأ ان تبقى طويلا .. بل أمرت ان
تحمّل توا الى قصرها .. فاعتكفت فى مخدعها .. واستلعت
خير خدمها وأكثرهم ولاء لها .. فأرسلته الى ابنها ..

واستسلمت بعد ذلك للهواجس .. حتى فطنت الى أن
جلبة الجموع التى كانت تتجمهر حول القصر قد خفتت فجأة
وساد الكون صمت ملى بالرهبة والتوجس .. وان هى

الا لحظات حتى سمعت بوقا ينذر بمقدم ثلة من الجنود .. لم
تلبث أن سمعت خطواتهم في الطريق .. ثم في ردهات
قصرها .. ثم .. عند باب مخدعها .. ودفع الباب في
عنف .. ودخل منه انيستس .. فأدركت ما في الامر ..
وحدست أن ابنها أرسله لشر لا محيص عنه .. وتلفتت
حولها .. ولكنها لم تر للفرار منفذا .. فاستجمعت كل
شجاعته .. وصاحت فيه :

إذا كنت موفدا من ابني لتسال عن حالي .. فقل له
اننى أفقت من الصدمة التى أصابتنى اثر الحادث ..
وان كنت قادما تبغى شرا .. فعجل به ..

ولم يجب .. بل جرد سيفه من غمده .. وسار نحو
سبريرها .. فندت عن جسدها الغطاء وهتفت به : « مزق
أحشائي .. مزق أحشائي ! » ..

وأجاب انيستس رغبتها .. فمزق الاحشاء التى حملت
يوما الابن العاق الذى دبر قتلها .



أما آكتيه .. فقد مضت تسبح نحو الشاطئ - بعد
أن استقلت اجريرينا قارب الصيد - ولكنها حين اقتربت من
البر . رأت جموع الاهالى الذين استشارهم نبأ غرق اجريرينا
ثم اذهلهم ظهورها على قيد الحياة .. وخشيت آكتيه ان
يكشف أحد من أولئك القوم حقيقتها .. فقصدت ناحية
منعزلة مهجورة .. ولكنها كانت كلما اقتربت منها .. أحست
بالخور يطغى عليها .. وثقل رأسها واشتد بها الدوار . حتى
أشرفت على الضياع .. فهمت ان تصرخ تطلب النجدة لولا
أن ملاء الماء فمها وتسرب الى حلقها .. وفى لحظة اليأس .

عن لها أن تبذل آخر جهدها .. كى لا تغطس تحت الماء ،
فلما فعلت ، لمحت البر على مقربة منها ، فابتهجت ، وناضلت
ساعية اليه ، رغم ما شعرت به من نصب كان يثقل خركتها ،
ويشل أطرافها ..

وظنت انها هالكة لامحالة .. وراودت ذهنها الذكريات
الحبيبة .. وتمثلت لها صورة نieron مستغرقا فى العزف على
قيثارته ، بينما كانت تدنو من قبضة الموت حثيثا .. وعادت
ترسل بصرها الى الشاطئ .. فلاح لها شبح رجل عجوز ..
تحيط برأسه هالة من نور .. وهاجمتها موجة فصرخت فى
اعياء وقنوط .. فاذا بصرخة تجاوبها .. ثم مرت الموجة بسلام
.. وعادت تطفو على وجه الماء .. فرأت الشيخ يشير اليها ان
تشجعى وكافحى وتعالى ..

وبحافز من حب الحياة .. جاهدت من جديد .. وواتتها
قوة خارقة .. فاندفعت نحو صخرة بارزة عند الشاطئ ..
ثم تولاهم الم قاس .. وفقدت رشدها ..

وكان الليل لا يزال عاقدا ألويته على الكون حين استفاقت ،
فرأت انها مدثرة بعباءة .. والى جوارها رجل ركع عند رأسها
.. وأقبل يقطر الماء فى فمها .. وعجبت اذ تبينت فيه الشيخ
العجوز الذى لاح لها عند الشاطئ فى ساعة اليأس .. واطمأن
قلبها لوجهه الصبوح ولامحه الهادئة الوديعه .. فغمغمت
وكأنها فى حلم :

— اواه يا ايت ! .. لقد دعوتنى فشجعنى نداؤك .. لقد
انقذت حياتى .. فقل لى اسمك حتى استمطر البركات
عليك ..

— اننى ادعى بولس ..

— ومن تكون ؟

— من تلاميذ المسيح

— لست افهمك .. ولكنني ، على كل حال ، اثق فيك
ثقتي في ابي . فقدني حيثما شئت فنهض الشيخ وسار .
وهي في اثره ..

الفصل السابع

قضى نرون بقية ليله مسهدا قلعا ، يخشى أن يكون
انيسستس قد أخفق في مهمته ، أو أن تكون اجريبيينا قد
اشتمت رائحة الخطر المحدث بها ، ففرت قبل ان يبلغ انيسستس
قصرها ..

على انه لم يكذ يتلقى انيسستس عند عودته ، حتى خيل
اليه ان الالهة قد عوضته عن هواجسته ومخاوفه وأرقه خيرا ..
ولاول مرة شعر انه الحاكم بأمره بحق ، وانه مدين بذلك
لانيسستس ..

وبادر لتوه الى تدبير الاجراءات التي تمحو أية شبهات
تحوم حول مصرع أمه .. وانحصرت خطته في أن ينشر على
الاعلان أن اجريبيينا حاولت قتله لتسيطر على العرش وتخضع
الامبراطورية لحكم امرأة ، ولكن مؤامرتها فضحت ، فخشيت
أن يعرض الامر على مجلس الشيوخ ، فيوقع عليها القصاص ،
ومن ثم آثرت الانتحار ، فطعنت احشائها بسيف .. واستغل
حادث غرق السفينة .. وهو الحادث الذي كان قد دبره
للخلاص من أمه — فزعم أنه كان نذيرا من الالهة لاجريبيينا
كنى ترجع عن نواياها الخبيثة ، فلم تتعظ ..

وحرصن نieron على أن يلعب دوره بمهارة حتى لا ينكشف،
فاعلم الحداد ، وتظاهر باللوعة المفرطة ، والاسى البالغ ..
وقصد فى رفقة حاشيته الى قصرها ليودعها بالوداع الاخير .
وعلى وجهه حزن زائف ، واكتئاب مصطنع .. ولكنه حين وقف
امام مضجعها .. والقى نظرة على جثتها المسجاة .. التفت
الى سبورس - وكان الوحيد الذى رافقه داخل المخدع - فقال
فى خبث ماكر دون ان يرعى مالموت من حرمة :

- ماكنت احسب أنها كانت على هذا القدر من الجمال !
وأقبل الصباح .. وانتشر نبا موت أجريبيننا فتدفقت
الجماهير على قصرها .. وبث رجال القيصر اشاعة محاولتها
الاعتداء على ابنها لانتزاع الملك منه ، فاثارت لغطا وضجة بين
القوم .

ولكن شيئا من هذا كله لم يصل الى الماوى السذى قاد
بولس اليه آكتيه .. وكان هذا الماوى بيتا صغيرا فى أحقر
أحياء روما ، يسكنه صائد سمك مع أسرته .. فما بلغته
آكتيه ، حتى أفرد لها فى احدى حجراته فراشا .. تهالكت
عليه خائفة القوى ، وراحت فى سبات عميق ، والشيخ ساهر
بجوارها .. فلما استيقظت .. دهمتها الذكريات المريرة ،
غير ان عينيها وقعتا على وجه الشيخ الصبوح .. فانتزعت
دياجير الهموم ابتسامة ، وتطلعت اليه

وسألها فى اشفاق : اتعانين لما ؟

فأجابته فى جوى : بل آكتوى بالحب .. لست أيفى
سوى مكان قصى أنتبذ الناس فيه وأخلو الى همومى ودموعى .
وانتظر حتى هبط الليل التالى ، فأمر العجوز صاحب
البيت أن يقيم اشارة اتفقا عليها .. فسرعان ما أقبل رجل من

(ئيسيلدا) يسعنى ، فتقدم من بولس يحييه فى احترام بالغ ،
وانحنى أمامه يتلقى بركاته ..

وباركه بولس ثم أزجى اليه بتعليماته ، فانطلق بولس
وآكتيه فى أثره ، وقد دهشت الفتاة لما يلقاه الشيخ من تجلة
واحترام ، كما لو كان ملكا ذا سلطان .. ولكن أى سلطان ؟
كانت اقامتها القصيرة فى بلاط نيرون قد أطلعتها على
الملك المقام على القسوة والبطش ، وأرتها كيف يعتمد السلطان
على القوة والجبروت .. أما نفوذ بولس - كما شاهدته فى
النطاق الضيق المحصور فى الاسرة التى كانت فى ضيافتها -
فكان من نوع آخر .. كان يتلقى الاحترام فى تواضع وكان
يتلقى الطاعة عن تطوع ورضا ممن يقسمها . لاعن صدوع بأمر
لامحيص عن تنفيذه ..

واذ استبدت بها الحيرة سألته : من أنت يا من يطيعك
الكل دون خوف او رهبة ؟

- قلت لك يافتاتى اننى تلميذ المسيح .. لست ممن
يعتمدون على القوة والجبروت .. لست أستعبد الناس .. بل
اننى جئت أدعوهم الى ان يكونوا أحرارا ..
- لست أفهمك وان كنت تتكلم اليونانية كما لو كنت
من أبنائها ..

- انما عشت ستة أشهر فى أثينا .. وعاما ونصف فى
كورنثه .. كان ذلك منذ خمس سنوات وقد احترفت فى
كورنثه عمل الحيام للجنود والرحالة .. حتى لا أكون عالية على
مضيفى وكنت كل يوم سبت أعظ الناس .. وأدعوهم الى
تعاليم الكتاب المقدس ..

وهتفت آكتيه : آه .. لقد تذكرت .. أما قلت لك اننى
من بنات كورنثه ؟ .. ألم تكن ذاك السدى اتهمه اليهود لدى

جاليو .. حاكم (أخايا) ؟ .. لقد أشار اليك أبى وأنت تمر
ببابنا بين الحراس .. وقال لي : « انظري يا ابنتي ! .. هاهو
ذا رجل صالح يمضى من بيننا ! »

— وكيف تسنى أن تتركى أباك وتأتى الى هذه البلاد ..
فاعثر عليك وأنت موشكة على الغرق ؟ قصى على أمرك يا بنيتى
.. وانتظري حتى أعترف لك بجرائمى فتقيسى بها خطاياك ..
أجل .. ان لي جرائم .. وقد تبت وأنبت .. وأرجو أن يكون
الله قد غفر لي .. سأحدثك بما لم تحيطى به من قبل خبرا ..
عسى أن تذكرى قصتى يوم تعرفين ذاك الذى سأخبرك عنه ..
فتؤمنى به وتعبديه

ومضى بولس يقص عليها قصة مولد المسيح عليه السلام
وكيف بعث بالرسالة الالهية .. فكان بولس من الكافرين به
.. الناقمين عليه .. المضطهدين له .. حتى رأى بعينيه بعض
آيات المسيح ومعجزاته .. وشهد كيف اجتذبت هذه المعجزات
وتلك الآيات الكثيرين الى الايمان بدعوته فلم يزد ذلك الا
اندفاعا فى عداوته له .. فلما وقع المسيح فى يدي بيلاطس
الذى جمع شيوخ اليهود واستشارهم فى امره .. فأشاروا
بقتله .. كان بولس بين من صاحوا يطالبون بصلبه .. وظل
يرقب القوم وهم يثبتون المتسامير فى راحتى المسيح وقدميه
.. فسمع بأذنيه صيحته ينادى الله .. فخيل اليه ان الارض
ارتجت لهذه الصيحة .. على ان ذلك لم يزد الا إمعاناً فى مقت
المسيح وتلاميذه اذ كان أعنى القلب أصمه .. وشمام فيه
قساوسة اليهود هذه العداوة فأوفدوه الى سوريا ليقاوم الدعوة
المسيحية هناك . غير انه لم يكد يبلغ قمة الجبل المشرف على
دمشق .. حتى ومض ضوء باهر من السماء .. فانكفاً على
الارض كال ميت .. واذا ذاك سمع صوتاً يناديه :

لم حكمت هلى بالصليب يا شاول - انا عيسى انا ديك ، ،
ولسوف اكرسك لنشر رسالتى التى كنت تسعى لقمعها
والقضاء عليها

وأصيب بالعمى ثلاثة أيام قضاها دون أكل أو شرب ، ،
حتى أتاه انانياس . . فمسح على عينيه فاذا بصره يرتد اليه
. . ومنذ ذاك اليوم . . وقف بولس حياته على نشر دعوة
المسيح . . وعلى التكفير عن ذنوبه وخطاياها

وهتفت آكتيه حين فرغ بولس من قصته : أواه يا ابتاه!
. . لقد قصصت على قصتك . . فاستمع الى قصتى . . انها
لقصيرة . . وان كانت رهيبة . . اننى عشيقه القيصر ؟
- ليست هذه سوى خطيئة يا ابنتى

- ولكننى أحبه . . أحبه بكل ما فى قلبى من عاطفة ، ،
أحبه حبا لم يعرفه بشر فى الارض . . أو اله فى السماء
فغمغم الرجل فى أسى : وا أسفاه ! . . هذا هو الجرم !
وركع فى ركن من الكوخ الذى كانا فيه . . يصلى من
أجلها !

الفصل الثامن

هندما حل المساء التالى . . تأهب بولس للرحيل مرة
أخرى . . فتابعت آكتيه فى صمت . . لاتأبه أين يقودها . .
ولا يشقيها ان تعرف أين ينتهى بهما المطاف . . كان بعد
الاهوال التى رأتها لاتهتم الا بالفرار بعيدا عن نيرون . . بعيدا
عن الرجل الذى استولى على قلبها . . فاستبد فى سلطانه عليها
. . فقد كانت تحسن أن هذا الحب سيفضى بها الى الدمار والضياع
فى غمرة الحياة المحمومة التى يعيشها . . كان عجيبا أنها حتى

تلك اللحظة التي لم تهب خبثها الا للوشيش وعده ، ،
لا لنيرون وأنها حتى ذاك الاوان كانت ترى فتاها البطل المظفر
شخصا آخر غير الامبراطور . . وكانت واثقة من خبثها
للوشيش ، خائفة متوجسة من حب نيرون لها ، وكأنما هو
غريم يريد أن ينتزعها من حبيبها !

وعندما أوفت الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل ،
أوى بها بولس الى باب بيت يقوم وسط حقل نضير ، ومرة
أخرى ، رأت آيات التبجيل والطاعة تقدم لبولس في غير
اكراه ، ورأت مدى تعلق المسيحيين بدينهم ، وايمانهم
بربهم فسرى عن نفسها ما كان يوحى اليها من أبيتها
وعشيرتها عن المسيحيين من آراء سيئة .

وعاودا رحلتها في المساء التالي . فأويا هذه المرة الى
كوخ عبد يعمل في ضيعة غني واسع النفوذ ، وهفا بقلب
آكتيه ما رآته من محبة يبديها ذلك العبد لتلميذ النبی الذي
لبى دعوته ، وأدهشها أن تجد المسكين ينزل عن رغيف
لبولس وهو أحوج ما يكون اليه ، ولكنهما ما كادا يشرعان
في اقتسام الرغيف ، حتى سمعت آكتيه نحيبا يتصاعد من
خلف باب يفضى الى حجرة أخرى في الكوخ ، فنبهت اليه
بولس فأجابها .

— اننى أسمعك يا ابنتى ، ولكن الذى أرسل هذه الدموع
كفيل بأن يدخل الراحة والطمأنينة على القلب الذى سكب
آلامه فى ذوبها .

وأقبل العبد صاحب الكوخ ، فجلس فى ركن ، ودفن
وجهه فى راحتيه ، وانطلق بدوره يبكى ، وقال بولس ، اذ
توسلت اليه آكتيه أن يرفه عن المتعوسين :
— انما ينقصه الايمان يا فتاتى :

فصاح الرجل : وكيف تريدني على أن أومن وما كانت حياتي يوما سوى أحزان متواصلة . ما كنت سوى عبد ، ابن عبد ، فلما استشعرت لحظة لذة الحياة أو هنائتها ، لم يكن من نصيبي سوى النصب والوصب ، حتى إذا خطر لي أن ارتاح ، وجدت الشياط تنهال على جسدي تستحثني لمواصلة التعب ، دون أن أكافأ لقاء ما أعاني . . . بما يكفل قوتي وقوت زوجتي وطفلي المسكين الذي حلت به نقمة السماء . . . فولد مشوه الحلقة ملتوى الاطراف . . . وكأنما شاء القدر أن يمعن في النكاية . . . فاتخذ من بلواه هذه سببا يغري أحد أغنياء روما - ممن يستطيعون الاتجار في النفوس الحية - على أن يشتريه من مولاي ومولاه ولسوف نسلم المسكين غدا على كره منا . . . رأييت . . . حتى شقاؤنا محسوب علينا . . . لالنا . . .

- وهب أن الله أبرأ ابنك من عاهاته ؟ .

- أنه ينجو في هذه الحال من أن يباع كسلعة . . . فما حقر ذاك الثرى الى ابتياعه سوى ما ابتلى به من خائفة مشوهة .

وسار بولس الى الحجرة الاخرى . . . فاذا بطفل مشوه كالضفدع يرقد في أحد أركانها . . . والى جواره امرأة تمثلت في مظهرها كل معالم البؤس واليأس . . . فتقدم بولس من مضجع الولد . . . وركع رافعا رأسه الى السماء . . . وقد تجلت على أساريره آيات الايمان القوي الوطيد . . . ومضى يصلي في حرارة ويقين . . . ثم مسح بيده على الطفل قائلا وقد انبلجت أساريره . . . وغمره نور الهى :

- قم وتكلم باسم الاله الحي . . . خالق السموات والارض .

فنهض الطفل هاتفا : تبارك اسمك يا ذا الجلال .
وقفزت الأم صارخة . . وهوى الأب على ركبتيه خاشعا .
وانسحب بولس من الحجرة هامسا لاكتيه : ها هي
ذى أسيرة من العبيد يغيظها أى امبراطور على ما أصابها من
هنا ! .

وواصل الرحلة عندما أرخى الليل سدوله . . واكتيه
لا تزال منساقة وراء الشيخ العجوز . . مسلمة اليه قيادها .
لا تحفل بسؤاله عن وجهته ومقصده .

وهكذا صارت آكتيه دون ان تعي . . فى نفس الطريق
التي رافقت فيها نيرون عند عودته من كورنثه مظفرا ومرت
بفوندى التي أحتفى عندها (جالبا) بنيرون وبالحق فى اكرامه
فكان جزاؤه أن سعى نيرون عندما بلغ روما الى اقصائه عن
ايطاليا كلها . . فعهد اليه بمنصب الحاكم فى اسبانيا . .
وما درى أن تلهفه (جالبا) العجوز على أن يكون بعيدا عن
قبضة الامبراطور الغادر كان يفوق أضعافا لهفة نيرون على
إبعاده ليأمن وجود أى مزاحم يخشى خطره . وليطمئن الى
ثبات عرشه تحته .

كم من احداث وقعت منذ موت آكتيه مع نيرون للمرة
الاولى . . خلال هذه الطريق ! .

وامتدت الرحلة لثلاثة أيام أخرى وثلاث ليال . . كانا
يسريان فيها كلما هبط الظلام . . ويأويان إذا اقترب الفجر
الى بيت أحد المسيحيين فيتخذانه مخبأ حتى الليلة التالية . .
وعلى ضوء القمر فى الليلة الاخيرة - أشار العبد الذى كان
يتقدمهما - ويدعى سيلاس - الى أنوار كانت تبدو عنده

خاتمة الاثني .. وهتفت :

— ها هي ذي روما .. خاتمة مطافنا !

فهبط بولس الى الارض راكعا .. يقدم الشكر لله ..
بينما استندت آكتيه الى قبر قريب تتفادى الوقوع ..
وغشيها حزن مرير .. اذ رأت هذه الرحلة الشاقة
المضنية .. تفضي بها أخيرا الى المكان الوحيد الذي ما كان
ينبغي لها أن تطأ أرضه .

فصارحت الشيخ بأمرها .. فقال وهو ينهض ويتأهب
لمتابعة الرحيل : ما ألى روما نقصد فلا تخافى ولا تحزنى !

وبعد أن سارا ساعتين خلف سيلاس .. تحول هذا
يقودهما بين طبقات من الصخور المبعثرة كأنها بقايا جبل انهار
أثر زلزال عنيف .. ثم هبط في ثغرة كفتحة الكهف ..
وارتجفت آكتيه وترددت .. وسرت في جسدها قشعريرة ..
وكأنما هي مقبلة على فم مغرور .. لوحش مفترس ومدت
يدها .. فأمسكت بنزاع بولس .. ولكنه هتف بها :

— لا تخشى شرا يا ابنتي .. فالله معنا .

وتنهدت وسارت معه الى الثغرة المظلمة .. متعشرا في
مدخلها ثم تقدما على هدى صوت سيلاس بين أعمدة قائمة
من الحجر .. لم يلبث سيلاس أن أوقد مشعلا .

وقال : لاخوف علينا الآن .. ولو أن كل جنود نيرون
انطلقوا في آثارنا يبحثون عنا .. لما استطاعوا أن يعثروا
علينا .

ولم تبين آكتيه في بادئ الامر شيئا مما حولها ..
ولكن عينيها لم تلبث أن اعتادت وهج المشعل .. فاذا هم
يسيرون أحيانا في ممر ضيق .. بين جدارين من الصخر

الاصم .. واذا هم أحيانا أجرى يقبلون على فسحات في
الكهف تناثرت في جنباتها الاحجار وتخللتها الاعمدة العالية
وكان كل ما حولهم صامتا صمت الموت .. وغشى قلب آكتيه
شعور من الرهبة والوجوم .. ثم سمعت هي ورفيقاها فجأة
أنغاما موسيقية تسرى الى آذانهم في سكون الكهف .. ولمحوا
مصابيح أقيمت هنا وهناك .. وأبصرت آكتيه توابيت
متراسة .. فارتجفت هلعا .. وأمسكت بذراع بولس
تطمئن ..

غير ان الطريق ما لبثت ان خلت من التوابيت .. ولاحت
لهم ساحة وكأنما هم في شبه مدينة تحت الارض - وأشباح
متشحة بالبياض .. تنشد وتغنى على وقع الانغام .. وبدأوا
يرون الزهور والاكاليل متناثرة على جنبات الطريق ..

وبعد أن ضربوا طويلا في منعرجات تلك الطريق الممتدة
تحت الارض ، انتهوا الى تلك الساحة .. المنيرة .. فاذا جمع
من الرجال والنساء والاطفال يحتشون فيها تحت أضواء
المشاعل والمصابيح .. وقد أخذوا ينشدون في نغمات هادئة
وادعة وهم ركوع خلف قس لم يلبث ان نهض وتقدم الى مذبح
أعد في الصدر .. فما بلغه حتى التفت للقوم قائلا في خشوع
 واجلال :

- بيننا الآن من هو أجدر منى بأن يفضى اليكم بكلمة
الله .. لانه سمعها من المسيح نفسه .. تقدم يا بولس وبارك
اخوتك ..

وتقدم بولس من المذبح يبارك أنصهار دينه الذين
اجتمعوا لهذه المناسبة أثر وعد قطعة على نفسه أن يزورهم
في مدينتهم التي اتخذوها تحت الارض فرارا من طغيان

السلطات التي كانت تضطهد الدعوة المسيحية في بدء عهدها ،
وركعت آكتيه مع الراكعين - في غير وعى منها -
وأجالت بصرها فيما حولها • فتبينت أن هذه المدينة لم
تكن سوى •• مقبرة روما القديمة التي أقيمت في جوف
الأرض • في المحاجر التي خلت بعد أن اقتلعت أحجارها
لتستخدم في إقامة صروح روما ! ••



كانت روما اذ ذاك في مرحلة من تلك المراحل التي
لا بد لكل كائن - بشرا كان أو أمة - أن يمر بها في حياته
••• مرحلة قلق مضطربة • يودع فيها ماضيا آن له أن يندثر ،
ويتأهب لمستقبل لا يزال غامضا ، دون أن يدري شيئا من أمره .

كانت روما تشعر في تلك الاثناء بما تشعر بها الحامل
جامها المخاض على غير توقع أو ارتقاب فتولتها الحمى •
وعدمت الراحة والهدوء •• فقد نبتت في أحشائها بذرة
حضارة جديدة ، ونما في جوفها دين جديد كان انصاره
ومعتنقوه يتعهدونه ويباشرونه تحت أرض المدينة • دون أن
يشعر الاحياء الذين فوقها بما يجري •• فكانت مقبرة روما
القديمة - مهد الدين الجديد - وكانت كهوفها المهجورة حتى
قيام المسيحية ، الا من الفارين من وجه السلطات ، معبدا ثم
ملجأ • ثم مدينة لاولئك الذين اعتنقوا الدين • فانطلقت
السلطات تطاردتهم وتسومهم الخسف والاضطهاد ••

على أن المسيحيين المضطهدين لم يقتصروا على الانسحاب
من وجه الاضطهاد ، واللجوء الى المقبرة القديمة بل أنهم كانوا
يمدون ايدي المساعدة لآخوانهم الذين يقع عليهم الخسف

والعذاب • فينقلون منهم من لم يخل به بعد العقاب •
أو يتسللون خفية في الظلام فيحملون بحث من أعدموا منهم
إلى حيث يوارونها التراب • حتى لا تنهشها حشرات الأرض •
أو تفتك بها العقبان ••

وعاشت آكتيه وسط هؤلاء القوم الذين عمروا مدينة
الموتى المهجورة • فرأت آيات محبتهم لبعضهم بعضا • وتبادلهم
العطف والحنان • ماهقا بقلبها •• وكانت احزانها وشجونها
تدهمها في بعض الأحيان • فتنزوى في ركن تعاني قسوة
الصراع المحتدم في أعماقها • لا يدرى من أمرها أحد سوى
بولس الذي يدعو بعض الفتيات الساذجات الطاهرات فيسألهن
أن يصلين من أجلها عسى أن يرحمها الله ويهديها طريقه
السوى •• وكأنما كان الله يستجيب لدعواتهن البريئة • فلا
تلبث الدموع أن تنساب من عيني الاغريقية المتعوسة • فتكسر
حدة الألم اللاعج ••

وبينما كان المسيحيون يعتصمون بمدينتهم القائمة تحت
الأرض • كانت ثمة أحداث تقع في روما تنذر بالنهاية ••
كانت دنيا الوثنية تترنج كشمל فقد وعيه • وكان نيرون يزداد
اسرافا في بذخه • ومجونته وخلاعته • ويمعن في الجمع بين
ملاذاته • وشهواته •• ويتمادى في البطش • وفي تدبير
المؤامرات وفي سفك الدماء • والتخلص من كل من يخيل
إليه - ولو عن وهم كاذب - أنه قد ينتزع الملك من يده يوما •
على أنه في غمرة لهوه وعبثه • لم يخل من الهواجس
التي راحت تبعث إليه الأشباح المخيفة • من دنيا الوهم • تهيم
به • وتحاول النيل منه • لاقدامه على قتل أمه •• فما عثم أن
نزع عن روما فرارا من هذه الرؤيا • وأقام في نابولي ••
والتقى هناك ببوبيه فراحت توغر صدره على أوكتافيا

المسكينة . التي انزعجتها اجر يبينها من أحضان الزوج الذي
تحبه . فزوجتها من نيرون ليؤول اليه الملك ، وأشهدتها
مصرع أبيها وأخيها ليخلو السبيل بين نيرون والعرش . ثم
أسلمتها للشقاء والتعاسة . وهجرها نيرون الذي أبغضها اذ
غصبتة أمه على الزواج منها . فنبذها . بل وأقام حاشيتها
عليها رقباء يحصون عليها حركاتها ويستغلون ضعفها
ليدسوا لها .

وما كانت بوبيه لتقنع بأن تكون المقربة من نيرون .
بينما كانت زوجته الشقية منبوذة مضطهدة . فقد كانت تدرك
أن أهل روما يشفقون على أوكتافيا مما تلقاه من عنت وبأساء ،
فالتفت قلوبهم حولها . . .

وتردد نيرون توجسا مما راحت توسوس بوبيه اليه . .
ومن الجرائم ما يجفل منها أقسى المجرمين قلبا . وأكثرهم عتوا
وبطشا ، اذ لا يجد لها مبررا . . ولكن بوبيه كانت قد عقدت
العزم على أن تستأثر بنيرون وملكه ، مهما كلفها ذلك من ثمن
فسرعان ما دبست مظاهرة زائفة ، سيرت فيها أعوانا مرتشين
راحوا يهتفون مطالبين برأسها ، محطمين تماثيلها . .

وأحمد الحراس المظاهرة المديرة . بينما هرعته هي الى
نابولي تطلب الى الامبراطور أن يحميها ممن زعمت أن أوكتافيا
أرسلتهم لقتلها ! . .

وهاجت ثائرة الامبراطور المأفون ، فأمر أوكتافيا أن
تختار لها ميتة تنفذها بنفسها في نفسها . فلما توسلت اليه
واستعطفته ، وعصتها قواها ، مثل بها أشنع تمثيل ، ثم
فصل رأسها عن جسدها ، وقدمه الى بوبيه هدية ؛ فما كان
من الغانية الفاجرة الا أن وضعت الرأس على ركبتيها ، ورفعت
أجفانه بأصابعها . . وكأنما تبينت في عيني ضحيتها الميتة

نذيرا وتهديدا ، ففقت العينين اللتين عميتا الى الابد عن نور الحياة .

وعاد نيرون الى روما يواصل عبثه ومجونته ، حتى أحست يوبية ان زمامه أوششك ان يفلت من يدها وانه اسرف في فضائحه ، فشاعت ان تكبح جماحه ، وتذرعت بدعوى انها قد حملت منه جنينا . . الى ان كان ذات يوم اذ أبتان تذهب الى المسرح في حفل اقامه ليغنى فيه ، فأحس انها طعنت كرامته طعنة أثارت جنونه . . فانها عليها ركلا . . حتى قضى عليها . . ثم أفاق الى نفسه . . فهاله ما فعل . وتولاه الحزن عليها وشيع جثمانها كما لم يشيع من قبل في روما جثمان . .

وانقلب نيرون بعد ذلك يمعن في اضطهاد المسيحيين . . ملقيا عليهم تبة جرائمه . . فراح يعمل فيهم يد التقتيل والتعذيب . . ثم فطن مرة الى ان جثث القتلى منهم لا تبقى في مكانها لتمثل بها العقبان والجوارح زيادة في النكاية وامعانا في القسوة . . فغاضه هذا . . ورصد الحراس ليلا . . فما لبثوا ان قبضوا على عصابة المسيحيين الذين كانوا يتسللون من مدينة الموت تحت جناح الظلام ليحملوا جثث اخوانهم المستشهدين ويواروها التراب . . وكان على رأس العصابة . بولس ! .

وأقبل سيلاس - وكان الوحيد الذي نجا من الحراس - يحمل النبا الى المقيمين تحت الارض فركعوا يصلون لله كي ينقذ بولس واخوانه . . ولكن آكتيه بقيت جامدة في مكانها فهي رغم طول مقامها بين المسيحيين . . وفي رعاية بولس . . لم تشأ ان تستبدل بعقيدة أجدادها عقيدة أخرى . . وانحنى عليها البعض باللائمة . . ظنا منهم انها لم تتأثر

لمصير بولس .. ولكنها هتفت في عزيمة صادقة :
- سأذهب الى روما غدا .. واسعى جهدي لانقاذه .
فقال سيلاس :

- واذا أخفقت فسأعود اليه والحق به في سجنه
لاموت معه .

الفصل التاسع

غادرت آكتيه مدينة الموتى في الصباح التالي .. متشحة
بملاحة أخفت كل معالمها .. متمنقة بخنجر .. ساعية خلال
النواحي المهجورة من الطريق المفضية الى روما .. وقد عقدت
عزمها على أن تبذل قصارى وسعها في انقاذ بولس أو تسعى
الى زيادته فتدفع اليه بالخنجر .. جاهلة ان أولئك الذين
اعتنقوا المسيحية في بدايتها كانوا يستطيعون الاستشهاد في
سبيل عقيدتهم .

واذا أشرفت على روما تسارعت نبضات قلبها ..
وتخاذلت ساقاها .. وتولاها انفعال طاغ .. وراحت تفكر
فيما سيكون بينها وبين حبيبها الذي لم تره منذ الليلة التي
تسللت فيها الى سفينة أجريينا .. وكادت تغرق معها .

وتساءلت في نفسها .. ترى هل ستجد فيه لوشيس
الحبيب .. أو نيرون الرهيب ؟ .. وبخيل اليها انها كانت
شبه ميتة خلال المدة التي أقامتها في مدينة الموتى .. ولكنها
لم تكد تصعد الى ظهر الارض .. فتسرى في رثتها نسمات
الحياة .. حتى بعثت من جديد .. واستيقظ قلبها وتفتح
للحب ثانية .

وتناسب كل الانبياء التي سرت الى مدينة الموتى عن فظائع

نيرون وجرائمه .. فلم تعد تذكر سوى انه اليوم بلا
حليمة وخليمة .. وداخلها قبس من الامل في أن يكون محتفظا في
ركن قصي من قبله بشيء من حبه لها .. الحب الذي كانت فيه
حياتها وكيانها !

وكانت الساعة السابعة صباحا .. حين نفذت الى
المدينة .. وكان اليوم من أيام السعد والاعیاد في روما ..
ولاحظت ان الطرقات تغض بالناس .. فلم تدر أهى محض
مصادفة .. أم هي بهجة اليوم السعيد .. أم أن هناك حفلا
يترقبونه .

لم تدر السر .. ولكنها ابصرتهم يتجهون جميعا صوب
(الكابيتول) فحذت حذوهم .. ومضت في طريقها لا تلوي
على شيء .. لا تكاد تسمع أو ترى .. واذا اقتربت من ركن
القصر البلاتيني .. رأت تماثيل الآلهة .. في أبهى زينات
العید .. ولاح لها الزحام تشتد وطأته كلما اقتربت من
(الكابيتول) ولكنها لم تكن لتحفل بما حولها .. كان لوشيس
هو كل بغيتها .. وكان لوشيس يعيش في القصر الذهبي
واذن فلتسع الى هذا القصر .

بيد أنها حين أصبحت تحت اسواره انتبهت على أول
منظر لما يوشك ان يصلها من مفاجآت فقد رأت عربة فخمة
أمام باب القصر . كسيت بمخمل أرجواني .. وطرزت جوانبها
بالذهب وسدلت على نوافذها هتائر شرقية . واهتز كيان
آكتيه .. وأحسبت بالعرق البارد يتفصد من جبينها ..
وغشيت عينيها غشاوة فلقد كانت العربة من عربات الاعراس
وكانما شاعت ان تستوثق من خاطر طاف بذهنها فاقتربت
من أحد العبيد الوقوف تسأله فأجابها بأن قران نيرون كان
يعقد في تلك اللحظة في معبد جوبيتر .

وغشيتها موجة طاغية من الحب الجنوني ، فتناست كل
شيء . . تناست مدينة الموتى والمهمة التي غادرتها من أجلها ،
والآمال التي حلقها أهل تلك المدينة الأرضية عليها . . وامتدت
يدها فشددت قبضتها حول الخنجر السذى تحمله ، والغيرة
الهوجاء تفرى قلبها ، ثم اندفعت لا تلوى على شيء نحسب
(الكايتول) غير عابثة بنظرات القوم الذين راحت تدفعهم
عن طريقها ، وهى تنطلق فى خطى سريعة ، وطيدة ، حتى
بلغت المعبد . .

وعند قدمى المعبود . وبين الشهود العشرة الذين تقتضى
مراسيم الزواج حضورهم ، رأت العروسين وقد سدلا نقابين
على وجهيهما لا يرفعان الا بعد انتهاء المراسيم ، كما كانت
التقاليد تقضى وتقدم كبير كهنة الاله يحمل قدحا مليئا بمزيج
من اللبن والنبيد المعسول ، فقال للامبراطور :

يالوشيس دوميتيس كلوديس نيرون ، اننى أهبك
سايينا ، فكن لها زوجا ، وصديقا ، وحاميا وأبا . . اننى
أكل اليك قضاء مصالحها الدنيوية ، واعتمد على صدق نيتك .
وعقد راحة العروسين براحة عريسها ، ثم رفع نقابها فكشف
عن وجهها . . وآمنت آكتيه بما لم تشأ أن تصدقه حين سمعت
اسم العروس . . كانت هذه حقا تلك الجارية أخت سبورس ،
التي عضتها فى حمام القصر يوم وصولها . . كان الامبراطور
يعقد قرانه على جارية ، أمام الله والملا .

وتذكرت آكتيه تلك المشاعر الغريبة التى داخلتها عند
لقائها الاول بالفتاة ، فتبينت انها كانت خليطا من الغيرة
والمقت ، بعثتها فى نفسها غريزتها الفطرية كامرأة . . وها قد
صددت غريزتها . . فتزوج نيرون من الجارية التى أقامها على
خدمتها ، ووهبها اياها فى بدء حبهما .

وتناوبتها مشاعر متباينة ، متضاربة .. وراحت تحاول
أن تكذب سمعها وبصرها ، وقلبها ، فتأبى الحقيقة القاسية
إلا أن تفرض نفسها عليها فرضا .. أجل .. كانت العروس
سايينا ، وقد ارتدت ثوب العرس ، وارتبطت بنيرون برباط
لن يقدر له أن يحل ، اذا كانت القوانين الوثنية الرومانية
تحرّم الطلاق .

ونهض العروسان ، وسارا الى باب المعبد، حيث كان فى
انتظارهما أربعة رجال وأربع سيدات من أعرق وأنبل الاسرات
وقد حملوا المشاعل .. وتقدم كبير من حاشية القيصر ،
فاسلم نيرون التاج والوشاح اللذين طالما لبستهما الامبراطورات
الرومانيات فوضعهما بيديه على رأس سايينا وكتفها .
وهبطا الدرج فى جلال الى محفة مكشوفة لانظار القوم ،
فتعالت الهتافات .

وتبعت آكتيه الموكب ، ظنا منها أن الامبراطور وعروسه
سيتمتعن فورا الى القصر الذهبى ، ولكن نيرون كان قد رسم
خطته على أن يطوف بالعروس ارجاء روما ، فسارت آكتيه
مهمومة فى أثر الموكب أينما ذهب ، وهى تنصت الى الهتافات
والاناشيد والخطب التى كان القوم يتبارون فى أزجائها ، كل
كلمة منها تخز فى قلبها ، وتثير آلامها ..

وانتهى الموكب الى القصر الذهبى أخيرا ، فولجت آكتيه
مع الجموع التى تدفقت خلال الابواب التى فتحت على مصاريعها
احتفالا بهذه المناسبة السعيدة .. وكانت على دراية بدروبه
وردهاته، كما كان لباسها الابيض يخلع عليها مظهر الوصيفات
فتسللت الى مخدع العروس .. واختفت بين الستائر ..
وجمدت فى مخبئها .. نهبا لمختلف المشاعر والاحاسيس

الجياشة المتضاربة .. حتى انقضت ساعتان طويلتان .. ثم سمعت ضجة وأصواتا ووقع أقدام .. فأدركت ان العروس قادمة .

وأقبلت سابينا أخيرا وفي معيتها أكبر وأعرق وصيفات القيصر .. أغلق الباب خلفهما وراحت الوصيفة تنضو عن العروس ثيابها .. فبقيت في قميص بسيط جعلها تبدو لعيني آكتيه في المنظر الذي رأت فيه سبورس - للمرة الاولى - وهو يغادر السفينة .. في ذيل لوشيس .. على شاطئ كورنثه وساءلت نفسها في عجب .. أحلم ما رأت .. وما لا تزال ترى .. أم حقيقة ؟ .. أكان الاخ والاخت شخصا واحدا يتقمص أى الشخصيتين تبعاً للظروف ! وخيل اليها أنها تكاد تجن ! .

وما لبثت الوصيفة ان انصرفت .. فما خلت العروس الى نفسها .. حتى تنهدت .. وأطلقت دمعين كانت تكبحهما طيلة الوقت .. ثم رأت آكتيه فجأة تتحرك بين الستائر .. فقفزت في ذعر .. وصرخت خائفة .. حتى اذا تبينتهما وعرفتھا .. داخلها شيء من الطمأنينة وهتفت :
- أهذه أنت يا آكتيه ؟ ..

- أجل .. أنا بعيني .. ولكن من أنت ؟ .. أسابينا أنت أم سبورس ؟ .. أرجل أنت أم امرأة ؟ .. افصحى !
فصاحت متهالكة عند قدمي الفتاة : واحسرتاه ! .. ماأنا بهذا والابذاك .

وسقط الخنجر من يد آكتيه .. وكانت قد قبضت عليه .. وفي تلك اللحظة .. فتح الباب .. واندفع منه عدد من العبيد اقبلوا مهرعين .. اذ تناهت أسماعهم صرخة العروس .. فما رأوا آكتيه .. وسابينا متهالكة عند قدميها .. حتى

قبضوا عليها ووثجتها في السجن .. فأذا هي تلقي ببولس
وسيلاس .

وهتف بولس اذ رآها : كنت أتوقع مقدمك يا ابنتي
ولاريب انك اخفقت في مسعاك فبحثت تفضلين الموت معي ؟
فصاحت في لوعة : لا يا ابتاه .. لقد نسيت أمرك ..
فلا أداني جديرة بان تلعوني ابنتك .. انني حمقاء .. شقية
.. متعوسة .. لا أستحق رحمة أو عفوا
- أو مازلت تحبينه ؟

- بل لم أعد أحبه .. ولكنني كنت مجنونة .. وما أرو
في الارض أو السماء من يستطيع أن ينقذني من جنوني
- تذكرى ما حدث لابن العبد المشوه .. وان الله الذي
يبريء الجسد .. لقمين ان يبريء العقل .
- ولكن ابن العبد كان برىء النفس .. أما أنا .. فلا
براءة عندي .. ولا ايمان .

- لا تقنطي من رحمة الله .. فالندم جزء من التوبة .
وركعت بجواره .. واسندت رأسها الى كتفه .. ومضت
تنصت الى الحديث الذي راح يسكبه في أذنيها فينفذ الى قلبها
.. فلا تملك له جوابا سوى البكاء
وما ان بزغ نور الصباح التالي .. حتى كانت أكتيه قد
اهتنقت المسيحية .. وأطمأن قلبها الى الايمان .

وكانت العادة في السجون أن يختار كل يوم عدد من
المجرمين المسجونين والمسيحيين المعتقلين ليلقوا الى السباع
والنمور غداء .. ومنهم من كانوا يختارون لمصير أروع وأفظع
.. اذ كانوا يساقون الى الساحات العامة لينازلوا الوحوش
في حفلات يقيمها الامبراطور .. ارضاء لغريزته الوحشية ..
وشاعت الصدف ، أن يفتح الحراس باب السجن في

المحفلة التي كان بولس يعمد فيها أكتيه وقد ركب حملها
أنصار المسيحية يصلون لله شكرا .. وسأل بولس الحراس
عن غرضهم فأجاب رئيسهم : جئنا من أجل هذه الفتاة . فهي
ملك للقيصر . . .

فصاح : أخطأت ، فليس لكم عليها من سلطان .. انها
ملك الله ! ..

وأغمر على أكتيه ، بينما أشار الرئيس الى أتباعه كي
يقبضوا على بولس فيسوقوه الى الامبراطور بدلا من الفتاة ..
وحكم عليه بالصلب ، فاعترض على الحكم طبقا لما يتيح القانون
الروماني للمتهمين فأبدل الامبراطور الصلب بقطع العنق ..
على أن نيرون لم يكتف بالقضاء على تلميذ المسيح ، بل
شاء أن يمضي في نكايته بالمسيحيين الى أبعد حد .. وكانت
الذكرى المثوية لوفاة يوليوس قيصر جد وشيكة ، فأذاع في
الناس أنه سيقوم حفلا عظيما ، يشهد فيه أهل روما أروع
صراع شهدته بين آدميين ووحوش ، وأنه سيدفع الى الحلبة في
ذلك اليوم يزمره من المسيحيين المعتقلين ، وبعدد من الوحوش
التي أرسلت اليه من أفريقيا حديثا فلم تفقد بعد حدة غريزتها
المفترسة ..

ولم يكن مستغربا من القوم أن يتلقوا النبا في تحمس
وأن يترقبوا الموعد في صبر نافذ ، فعلى الرغم من أن حفلات
الصراع بين الآدميين والوحوش كانت مألوفة في عهد الإباطرة
السابقين ، إلا أنها لم تبلغ في أي وقت ما بلغت في عهد نيرون
الذي فاق في تعطشه لرؤية الدماء المراقبة ، كل أسلافه
السابقين ، والذي افتن في تنظيم حفلات الصراع الآدمي
الحيواني افتنانا جعلها من أبهى حفلات ذاك العهد في روما .
واذ حان اليوم تدفق الناس على ساحة الصراع في سبول

زائفة حتى ضاقت بهم الساحة على سمعتها . . وجاء الامبراطور
بنفسه يشهد المباراة . فاستقبله الناس في عاصفة هوجاء من
الحماسة والحفاوة . . ولم يكد يستقر في مقصورته حتى نزل
الى الساحة بعض المصارعين المدربين . . وكانوا من العبيد
الذين ابتيعوا من ساداتهم خصيصا لهذا الغرض على أن يكون
جزاء من يفوز منهم على الوحش الذي ينازله فينجو بحياته ،
أن ترد اليه حرية . وأن ترفع عنه قيود الاسترقاق . .
وعرض هؤلاء المصارعين بعض الالعاب الطريفة التي
زادت من حماسة الحضور . .

على أن الجمهور لم يستطع طويلا هذا اللون . . كانت
اللهفة تطفئ عليه ، الى رؤية ماهو أروع وأرحب وأقوى على
اثارة الغرائز الوحشية في نفوس الناس . . كان تواقا الى
رؤية الصراع بين المسيحيين الذين اختيروا من المسجونين وبين
الوحوش . .

وقبل أن ينتهي الشوط اقترب انيستس من الامبراطور .
فأسلم اليه عددا من الرسائل . عكف تيرون قوا على قراءتها
في قلق وتلهف . . واربد وجهه واكفهرت ملامحه . واستغرق
في التفكير برهة ثم هب فجأة فاندفع خارج الساحة . مشيرا
الى المسئولين كي يشرفوا على مواصلة الحفلة في غيابه . .
وانتهى الشوط فازداد تحمس الجمهور اذ آن دور الصراع
بين الأدميين والوحوش . .

واتجهت الابصار صوب الباب الذي يساق منه المسجونون
. . وكانت الاولى امرأة اثترت من قمة رأسها الى أخمص
قدميها بمئزر أبيض فاقتيدت الى شجرة ربطت اليها . . ورفع
أحد العبيد النقاب عن وجهها فبدا جميلا رغم شحوبه
المفرطة وأثار منظرها تمتمة بين الجموع . فعلى الرغم من أنها

كانت مسيحية • الا أن رؤيتها هفت بعواطفهم وحركت قلوبهم
الجامدة ••

وبينما كانوا يرمقونها • أقبل شاب من المسجونين من
باب آخر • اذ كانت العادة تقتضى تعريض رجل وامرأة
للوخش المفترس • حتى يجد الرجل نفسه مضطرا لا الى انقاذ
حياته فحسب بل وحياة المرأة أيضا ••

وكانت المرأة تختار - لذلك - بحيث تكون أما أو أختا
أو عشيقة له - اذ أمكن ذلك وتيسر - فيطيل وجودها من
دورة الصراع • ويذكرى احتدامها ••

وتقدم الشاب الى الساحة فى خطى بطيئة يتبعه عبدان
يحمل أحدهما سيفا وعددا من الخناجر ويقود الآخر فرسا
ليزوداه به عند بدء الصراع •• وتلفت حوله هادئارزينا • ثم
أشار الى العبدین يصرفهما اذ لا حاجة به الى الاسلحة أو
الفرس •• وتبدى الاستياء على الجماهير اذ كانوا يرتقبون
صراعا حاميا • فابصروا بالمسيحي يتأهب للاستشهاد • وهو
فخر كان يسعى اليه آنذاك كل مؤمن مضطهد •• وبينما
ركع يصلى راحوا يصيحون مطالبين بصلبه نكاية فيه فابدى
الرجل غبطته بدلا من أن يتردد ويخاف ••

ولكنه سمع فى تلك اللحظة زفرة تند عن المرأة المربوطة
الى الشجرة وسمعها تنادى باسمه فى صوت واهن فالتفت
وما أن رآها حتى نهض واندفع نحوها صائحا :
- آكتيه ! ••

فهمت به : ارحمنى ياسيلاس ! •• لقد داخلنى الامل
حين رأيتك اذ عرفت فيك سيلاس الجرىء الذى اعتاد أن ينازل
الوحوش فى الغابات والصحراء فلم لاتناضل عسى أن تنقذ
حياتينا معا •• وتجنبنا ميتة شنيعة •• اننى حديثة عهد

باعتناق الدين فلسيت أدري عن الاستشهاد شيئا . . ولو
أنهم قتلوني لما تأملت ولكن . . تصور حالي اذ أراك تموت تلك
الميتة القاسية البطيئة ، بين برائن الوحش . . كيف احتمل
المنظر ؟! . .

— سأقاتل اذن ، فلأتحزني واني لذائق فيما بعد لذة
الاستشهاد التي تحرميني اليوم مذاقها . . الى بالفرس
والسيف والخناجر . .

وصباح الناس مغتبطين وراحوا يصفقون . . كانوا
عطشى الى الدماء . . كانت غرائزهم الحيوانية بحاجة الى غذاء
تستخلصه من الوحشية التي تبدو في الصراع بين أخ لهم
ووحش كاسر مفترس . .

وكان الجواد عربيا أصيلا ، كما كان شأن سيلاس ،
فسرعان ما ائتلف الاثنان . .

وفيما كان سيلاس يتأهب ، فتح باب في أحد الجوانب
على مصراعيه ، ونفذ منه ثور قرطبي أهاجة العبيد واستفزوه ،
فما أن رأى الحشد وسمع الضجيج ، حتى ثبت أقدامه في
أرض الساحة وخفض رأسه في تحد وراح يرمق سيلاس
بعينين يتطاير الشرر منهما . بينما انبعث من أنفه البخار
. . والقي العبيد الى الساحة بدمية ليعزبوا من استثارته
فاندفع اليها وطواها تحت حوافره . وبلغ به الهياج أقصى
مبلغ . . واذاك رشقه سيلاس بخنجر استقر في احسبى
كتفيه ، فارسل خوارا رهيبا . وسار الى السورى ودمأوه
تصبغ الرمال . . ولم يتحرك سيلاس من موقفه حتى اذا صار
الثور على خطوات منه رشقه بخنجر آخر غاص بين كتفيه ،
فوقف وترنح كأنه يوشك أن يقع . ثم استدار فجأة .
واندفع نحو الفرس . . وجرى الفرس والاخر يطارده في

ارجاء الساحة . .

على أن الحور مالبث أن تولى الثور ، فهوى على ركبتيه الاماميتين ، ولكنه سرعان مانهض فاندفع نحو سيلاس في هجوم يائس مستميت ، واذ ذاك لمح آكتيه للمرة الاولى ، فتردد لحظة . ورفع منخاريه يشتمها ليتأكد من أنها كائن حي ثم استجمع قواه ، وهجم عليها ، فأطلقت المسكينة صرخه دعر ملوية ، ولكن سيلاس كان أسرع منه فقفز على ظهر الجواد ووكزه حتى حملة بين الثور وآكتيه ، ثم قفز عن الجواد فصار فوق عنق الثور ، وأمسك بأحدى يديه قرنه فاستعان به كي يلوى رأسه ، بينما أغمدت يده الاخرى السيف في عنقه ، فغاص حتى مقبضه

وقضى على الثور . . وأقبل العبيد يحملون جثته . . بينما قلم غيرهم يحملون قوسا وعددا من النشاب وحرية . . يستعين بها سيلاس على غريمه الثاني . . الذى لم يكن غير أسد أفريقى مهيب . . أقبل - حين أطلق - فى الجلال اللائق بملك الوحوش . . فلما أن ولج الساحة حتى زار زارة اقشعرت لها أبدان الحضور . . اللهم الا سيلاس الذى كان قد ألف الزئير منذ حادثته فى الصحراء

وسار الاسد فى تودة واعتداد . . يضرب الرمل - الذى نثر على الارض - بذيله غير عابىء بالمحاولات التى بذلت لاستشارته . . وفجأة مرق فى الجو سهم أطلقه سيلاس . . فاستقر فى احدى كتفيه . . فوقف لتوه . . وكأنه دهش لان فى الكون مخلوقا جرؤ على الاعتداء عليه . واحمرت عيناه . . وتحرك فكاه الضخمان . . ثم ند عنه زئير كقصف الرعد وانتزع بمخالبه السهم من كتفه . . فحطمه . . وجال بعينيه فى الحضور . فبعث الذعر والهلع فى قلوبهم ثم قفز فجأة

وانطلق يطارد الحصان .. فأجفل هذا وراح يدور حول الحلبة
فى سرعة زادها الخوف أضعافاً

بيد أن الاسد كان حريصاً على أن يضيق الخناق على
الجواد المسكين .. الذى مال به أن هوى عند السياج الحديدى
المحيط بالساحة .. وتقدم الاسد من ضحيته فى عظمة
المظفر الغالب .. ولكن سهماً مرق فى الجو فنفذ بين ضلوعه
.. فاستثار غضبه .. واذكى سخطه فتحول نحو سيلاس
الذى كان قد سددهما ثالثاً أرسله فمزق وجه الاسد .
وغاص فى عنقه

وفى عجلة خاطفة ، وعلى غير توقع من أحد . قفز
الاسد على سيلاس . فتلقاها هذا بسن حربته .. وسالت
السماء .. ودار الصراع رهيباً عنيفاً بين الغريمين .. وصرخت
آكتيه فى فزع ولوعة .. ولكن سيلاس كان قد اقتصر لنفسه
.. فلم يمت ألا وقد قتل غريمه ! ..

واتجهت الانظار نحو آكتيه . التى فارقتها آخر أمل
مع آخر نفس لفظه سيلاس .. ووجدت نفسها بلا حام أو
نصير . فاستبد بها اليأس وحاولت أن تصلى فماتت الكلمات
عند شفيتها ..

وعلى غير المعتاد . بل وعلى غير توقع . استدر ضعفها
وذلتها اشفاق الجمهور فقام بعض افراده يطالبون بالعفو عنها
.. ولكنهم اضطروا الى السكوت اذ اطلقت فى الساحة نمره
سارت متحفزة وقد فغرت فاها . فتبدت أنيابها الرهيبة ..
واقتربت النمره من الشجرة التى ربطت اليها آكتيه
فراحت تطوف حولها . وتتشمم الجو المحيط بها .. وأمسك
الحضور أنفاسهم اذ رأوا النمره منبطحة على بطنها متحفزة
.. وأغمضت آكتيه عينيها عن المصير الفظيع

وقفزت النمرة مستوية على قدميها • فتوقع الجميع ان
اللحظة قد حانت • فتعالت صرخات الجزع من المشفقين •
ولكن النمرة استلقت عند قدمي آكتيه وراحت تلحق بشرتها
• وفتحت الفتاة عينيها في دهشة • فاذا هي تتعرف في
النمرة على « فوبيه » الليفة التي استأنسها نيرون وروضها •
وانطلقت صيحات الجمهور مدوية كالرعد تطالب بالعمو
وأفرج عن آكتيه • وأقبل الناس يهيلون عليها آيات
العطف • ولكنها تحاشتهم وتسلمت الى ركن من معبد ديانا •
خلت فيه الى نفسها • فاطلقت لدموعها العنان • في حسرة
ولوعة وأسى ••• كانت وحيدة في الحياة لا أب • ولا خليل
ولا ناصح • ولا نصير • بل ولا مأوى ! •••
وعند ما ارخى الليل سدوله ، سارت وحيدة • صامته
الى مدينة الموتى ••

وكشف الصباح التالي عن أمر الرسائل التي تلقاها
نيرون ، فاكتأب وغادر ساحة الصراع فجأة •• فقد حملت
الرسائل انباء ثورة الفرق التي أوفدها الامبراطور الى
اسبانيا وبلاد الغال ، تحت قيادة جالبا وفيندكس

الفصل العاشر

بعد ثلاثة أشهر من الوقائع السابقة ، وعندما كان
النهار يتهالك متعبا - بعد أن انهكه تساقط المطر منهما
كالغيث - ليفسح الطريق لليل عاصف ثائر الرياح والزوابع ،
خرج خمسة رجال من مدينة روما على صهوات الجياد • متبعين
طريق « نوميانتانا » وقد تدهثروا وتزملوا حتى لم تكد وجوههم
تبين ••

وما كان هياج أهل روما في ذلك اليوم بأقل حدة من هياج الطبيعة وغضبها وكأثما كان هذا السخط المزدوج منصبا على رأس الشخص الذي بدا أنه الرئيس بين هؤلاء الخمسة الضاربين في الظلام ، السارين في جنح الليل . رغم العواصف والأمطار . . فقد كان متلهفا خائفا يستحث جواده من آن لآخر ، ويجفل لسماع أية حركة مفاجئة ؛ ويرسل أنات آتية وزفرات ملتاعة . كلمسا ازدادت ثورة الطبيعة عنفا . . .

واذا ابتعدوا ميلا عن روما ، صادفهم فلاح يقبل على المدينة رغم الطقس الممطر العاصف ، فحاول قائد الجماعة ان يتحاشاه ، ولكنه استوقفه وسأله :

— أيها القادمون من روما ، ماذا يقول الناس عن نيرون ذي اللحية الحمراء ؟

فأجفل الرجل ، ولكن أحد رفاقه أجاب عنه :

— يقولون انه هرب .

— والى أين قصد ؟

— سار نحو نابولي ، مجتازا طريق أبيا .

فشكرهم الرجل وانطلق نحو المدينة هاتفا : ليحي

جالبا ، وليمت نيرون ! .

واذا قطعوا ميلا آخر ، اعترض سبيلهم أحد الجنود

فسألهم عن أمرهم .

وأجابه واحد منهم :

— نحن من أنصار جالبا ، نبحث عن نيرون .

فصاح : أرجو ان تكونوا أحسن متحظا . . وليحكمكم

جوبيتر ! .

وهم رئيس الجماعة أن يطيع خوفه ، فيلكر جواده

يستحثه ، لولا أن جذب أحد رفاقه العنان فساروا في خطواتهم السابقة ، يمرون بين الفينة والفينة بمن يسألهم عن نيرون الذي هوى من شاهق مجده ، فتكاثر القوم يريد كل أن يكون صاحب الطعنة الأولى في هيكل عزته .

والتقوا مرة بجندى استوقفهم . . وبينما كان يتحدث اليهم ، تعثر جواد رئيسهم ، فكاد يفقد توازنه . . وفيما هو يعتدل ؛ سقط القنصاع عن وجهه وأبرقت السماء في تلك اللحظة ، فما رأى الجندى على ضوئه وجه الرجل حتى هتف (يحيا القيصر !) وانطلق !

فما كان رئيس الجماعة سوى . . نيرون بذاته . . وقد فر من روما وهجر موطن لهوه وبذخه لينجس بحياته من الشعب الذي ثار عليه .

ولكن لنلق نظرة على الحوادث التي هبطت بالامبراطور من ذروة مجده . . الى الرغام . .

في تاريخ العالم فترات يرى فيها الناس امبراطوريات تستسلم للنعاس . . وتستكين الى الخمول والاستخذاء . . وفجأة تنب فيها الحياة من جديد . . وكأنما هبط ملاك الحرية من السماء على حين غرة . . ليبعث قبسا من الضوء خلال الظلام الذي تعيش فيه . . واذا ذاك . . ومهما بلغت تلك الامبراطوريات من الاتساع تنتشر النار في ارجائها بسرعة موقظة الشعوب خالقة بين بعضها وبعض رابطة واحدة . . رابطة الثورة في سبيل الحرية . . فلا يلبث النداء ان يتردد من كل الجهات ومن جميع النواحي وعلى مختلف اللسان وفي متباين اللغات .

وهذا عين ما حدث . . فما ان قام جالبا في اسبانيا وفيندكس في بلاد الغال يعلنان الثورة على نيرون حتى سرت

الروح في كل جسد الامبراطورية الرومانية.. وكان فيندكس جريثا . ولكن جالبا كان مترددا تردد الحريص المتزن الرزين . ومن ثم سرعان ما جمع فيندكس أبناء الغال حوله ثم راح يكاتب جالبا الذي كان يعمل مذ هبط اسبانيا على توطيد مركزه ، وعلى التقرب الى القوم ، فجمع خيرة الرجال والانصار ، وعرض عليهم الامر ، فتلقوا ما عرضه عليهم في حيرة وتردد وارتباك ، الى أن هب من بينهم جرى مقدم يدعى تيتس فينوس ، فصاح :

— اذا شئت يا جالبا أن تتآمر لتري مدى ولائنا لنيرون ، ففي تآمرك واجتماعنا بك خير تأكيد لعدم الولاء.. فاما أن نقبل صداقة فيندكس ، وكأننا ارتضينا أن يكون نيرون عدونا ، واما أن تناصبه هو الآخر العداوة ، فنعلن الحرب عليه ، ونذيع على الناس أننا اخترناك امبراطورا ، لتحل محل نيرون الطاغية .

وأعقب الاجتماع الخاص المتكتم ، اجتماع عام سافر شامل ، أعلن فيه تنصيب جالبا امبراطورا وبينما كان فيندكس يتهيا لمحاربة روما ، وجد نفسه في بادئ الامر مضطرا الى محاربة جالبا أولا.. اذ سير هذا الفرق الرومانية التي كانت في اسبانيا الى بلاد الغال .

وفرح نيرون اذ ظن أن هذا الحلاف مخرصة من النتائج الوخيمة التي كانت متوقعة من وراء الثورة . وبدا من أن يستعد ويتأهب . عاد يغرق نفسه وبلاطه في ملاذه وبذخه ومبازله .

وانتصر جالبا على فيندكس الذي وجد قتيلا في خيمته بعد المعركة . ولم يبق أمامه سوى غريم واحد . هو نيرون . ولكن نيرون كان فرحا مثله . اذ رأى نفسه في

نفس موقفه وقد غدا أمامه غريم واحد .. بدلا من اثنين .
غير أن شرارة الثورة كانت قد سرت الى روما نفسها
فلسعتها وأيقظتها من سباتها .. وراح أعوان جالبا يعملون
متخفين ، يثيرون الرأى العام .. ويكشفون عن فضائح القيصر
وعن مبادئه وتهتكه .. وبدأ نيرون يرى القوم يتحكمون به
سافرين للمرة الاولى .. وبدأ يرى تماثيله في الميادين موضع
عبث الساخرين .

وتمت اليقظة أخيرا .. وتعالى الصيحات فى جنبات
روما .. فاستشاط .. وأعماه الغضب . فراح يضع مختلف
الخطط للانتقام من المدينة التى جرؤ أهلها على السخرية
منه .. وكانت خططا جنونية .. بعضها يرمى الى السماح
لأعدائه بالفتك بجيوشه .. عملا بالمثل السائر (على وعلى
أعدائى) وبعضها يقتضى دعوة أعضاء مجلس الامة والشيوخ
الى وليمة يدس لهم فيها السم فى السم .. على أن أقطعها
وأكثرها جنونا .. كانت خطة أوحى له فيها شيطانه ..
ليضرم النار فى روما مرة أخرى .. ويطلق وحوشه المفترسة
فى الوقت عينه .. فتفتك بالقوم . وبوسيلة خفية تسربت
الالواح التى سجل عليها هذه الخطط الى أيدي أعوان جالبا ..
فراءوا أن الساعة قد حانت ووقفوا فى ميادين روما يدعون
الناس للثورة .. ويطلعونهم على ما أعد الامبراطور المتهوس
لانتقام منهم .. وتصادف أن كانت السفن التى تحمل مؤونة
روما من القمح المصدر من الاسكندرية قد تأخرت .. وراح
القوم يعانون أزمة قاسية .. لا يجد معظمهم خلالها الخبز .
وتعاونت كل العوامل .. فهبت العاصفة .. وانفجر
الحقد الكامن فى الصدور . واجتاحت روما ثورة عنيفة .
ووجد نيرون نفسه وحيدا وقد انفض من حوله أنصاره

وزملاؤه في اللهو والعبادة .. وراح الشعب يطالب برأسه ..
لم يبق حوله غير سبورس ، وايبافروديتس ، وخادمين من
عتقائه .

وذهب الموقف بعقله ، واستبد به حب الحياة ، فكاد
يجن .. لولا أن عرض عليه ايبافروديتس أن يؤويه في
ضيعة له على مبعدة من روما .. ريثما تهدأ الثورة ..
ويستعيد سلطانه على جيوشه .. فيسيرها على العصاة .
وهكذا .. خرج في تلك الليلة العاصفة .. يسعى الى
ضيعة ايبافروديتس يحوطه الاربعة السدين بقوا حوله ..
بينما كان الجميع يبحثون عنه .. ليقدّموا رأسه للشعب
الناثر الهائج .

واستطاعوا أن يصلوا الى الضيعة في سلام .. وفي
حجرة حقيرة كان يسكنها العبد القائم على حراستها . جا
الامبراطور على فراش خشن رث . وهو يرتجف خوفا وهلعاً .
وقد أعماه حب الحياة عن كل شيء .. ولكنه ما كاد يستقر
.. حتى لحقته رسالة .. تعلن اليه أن مجلس الامة قد
اجتمع ونادى به عدوا للامبراطورية .. وأطلق في أثره الرجال
للقصاص .

وفكر في الفرار حين أزجى اليه سبورس النبأ على
افراد .. فهتف العبد :

ـ الفرار ؟ .. واني لك هذه النعمة ؟ لقد سدت
عليك الطرق والمنافذ فلا مخرج لك من هذه الحجرة .

ولم يصدقه نيرون بادى الامر .. ولكنه لم يلبث أن
تبين أنه لم يكذبه القول .. فصاح يسأله عن دبر ذلك ..
فأجابه في برود :
ـ أنا والتابعان .

— ولماذا فعلتم ذلك ؟

فاجابه في لهجة تفيض بالحقد : لتموت حيث أنت !
وصاح نيرون مخبولا وهو يتخبط : أموت ! لماذا يسعى
كل فرد الى موتى ؟ لماذا ينبذنى كل فرد ويتخلى عنى ؟
— حقا كل فرد ينشد موتك • ولكن هناك من لم يتخل
عنك • فها أنذا قد جئت لاموت معك •

فتمتم نيرون وهو يتهمالك حزينا : آه ! ما زال فى
الدنيا وفاء !

ولكن العبد أجابه فى فتور : تخطيء اذا ظننت هذا
وفاء • • انما هو انتقام !

فبهت نيرون وصاح : انتقام ؟ وبماذا أسأت اليك
يا سبورس ؟ •

— أو حقا لا تدري ؟ أو لست أنت الذى جعل منى عبدا
حرم من كل ما يبعث الامل فى نفوس الرجال ؟ لقد أغدقت
على ألوان المسرات • • كما يعرض اللحم والشراب على الجائع
المكتوف اليدين المحكم الفم • • البستنى الحرير والمخمل • •
وأجبرتني على أن أبتسم كما يبتسم السعداء • • بينما كنت
أعيش على هامش الحياة كشبح حائل • • لو أنك قضيت على
كما قضيت على بريتانيكس واجريينا وغيرهما لأرحتنى • •
ولكنك رحمت تعاملنى ، لا كما لو كنت رجلا • • لاولا كما لو
كنت امرأة • • وانما كما لو كنت العوبة تتصرف بها كما
تشاء • اذقتنى الهوان فى قالب الايثار • • وأسقيتنى الذل
فى كأس العز وأريتني الشجون فى أثواب المسرات • • كنت
لا أملك من نفسى شيئا • • كنت عبدا لك • • كنت كلبا • •
بل حشرة طفيلية • •

وصمت سبورس برهة • • ثم استعرد فى كراهية

طاغية ومع ذلك فقد كان فى وسع ذاك العبد .. الكلب ..
الحشرة الطفيلية كان فى وسعى أن أفكر فى الانتقام فأسلمت
الالواح التى ضمننتها خططك ضد روما وأهلها لعمال جالبا .
وسرقت السم الذى كنت أعددت له لتتخلص من حياتك فى لحظة
سقوطك حتى لاتجنب نفسك مشهد ذلك .. وعملت على أن
أسلمك لأعدائك حيا كى يمثلوا بك أبشع تمثيل .

فصاح نيرون وهو ينتضى خنجرا من بين طيات ثيابه :
خسئت . فقد بقى لى هذا يخلصنى من العار ..
- واين لك الشجاعة التى تمكنك من استعماله ؟ .

وقرب نيرون الخنجر من صدره حتى مس ذبابه بشرته
وقال : بل سترى كيف أجرو . ولكن ، لقد عشت فى العار
وسأموت مضرجا به ! كم ستخسر الدنيا فى شخصى موسيقيا
موهوبا . ومغنيا مطربا ! ..

وأمسك اذ سسمع وقع حوافر جياد مقبلة فهتف
سبورس : هاهم الجنود قد جاءوا لإعتقال عدو الوطن ..

واندفع ايبافروديتس يعلن نفس النبأ فصرخ نيرون فى
جزع ودفع الخنجر الى قلبه فهرع سبورس وايبافروديتس
ينشدان النجاة قبل مقدم الجنود ..

وأفاق نيرون الى نفسه فانتزع الخنجر من صدره وقد
عاوده حب الحياة ..

وحاول أن ينهض من كبوته فعجز .. تدفق الدم من
صدره غزيرا . فحاول أن يسد الجرح بقبضته ثم تلفت
حوله . فلما رأى نفسه وحيدا تهالك على الارض يشن -
ودفع الباب فى تلك اللحظة بعنف ونفذ منه جندى . فما
أن رأى الامبراطور ملقى على الارض مضرجا بالدماء حتى هرع
نحوه وحاول أن يسد بوشاحه الجرح ليبقى عليه حيا ريثما

يسلمه الى نواب الامة فيفوز بالمكافاة التى وضعت لمن يأتى به حيا ..

ولكن نيرون دفعه عنه وقال مؤنبا : أهذه يمين الولاء التى أقسمتها لى ؟ ..

ولفظ آخر أنفاسه مع آخر كلماته .

وأقبل فى تلك اللحظة زميلان للجندى ولكن الصيد كان قد أفلت من أيديهم الى الابد فأسرعوا الى روما يعلنون النبأ .
وبقيت الجثة فى مكانها طيلة النهار فلما أقبل الليل أقبلت معه آكتيه فتسللت الى الحجرة شاحبة الوجه فراحته تغسل الجثة ثم نقلتها فى عربة صحبتها فى مجيئها بعد أن حصلت على اذن ممن أنابه جالبا عنه فى السيطرة على أزمة الامور فى روما ريثما يصل ..

وفى جنازة بسيطة هادئة شيعت آكتيه فى اليوم التالى جثمان الرجل الذى أحبته والامبراطور الذى أبغضته فدفنته فى القبر الذى كان قد شيده لنفسه فى مقبرة أجداده ثم ركعت بجواره جامدة كالتمثال تستعرض ماضيها وذاكرات حبها العجيب ..

وعندما أقبل المساء هبظت التل وسارت فى خطى هادئة واجبة وكأنها شبح خرج من المقبرة ، فيممت شطر المدينة التى عاشت فيها حقبة من الزمن تحت أرض روما شطر مدينة الموتى !! ..

كانت هى المأوى الوحيد ، الذى تستطيع أن تجد فى أحضانه مقاما لها ريثما يواتيها الاجل ! ..

تمت

قام بالمراجعة احمد يسرى القرنى

هيئة قناة السويس

مشروع ناصر

لقد بدأ العالم خلال سنة ١٩٦٠ يفتنى ثمار الجهود
ما فتئت الهيئة تبذلها في سبيل تحسين المرفق منذ
سنوات مضت ، فقد أعلن بمناسبة زيارة الرئيس جمال
الناصر لبور سعيد ، يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ ، أن موا
التحسين التي تم تنفيذها منذ التأميم ، أعدت القناة لاستنا
سفن يزيد غاطسها على ٣٥ قدما ، وأن الزيادة سترتفع تدري
حتى يبلغ ٣٧ قدما في نهاية شهر ابريل ١٩٦١ . .

ولكى يستطيع القارىء أن يكون فكرة عن الفائدة
ستعود على التجارة العالمية نتيجة لزيادة الغاطس الى ٣٧
نضرب لذلك مثلا بناقلة بترول تغوص بمقدار بوصة واحدة
كلما اختلفت لشحنتها ١٥٠ طنا . . . تلك الناقلة ستتمكن
أن تضيف الى شحنتها ٣٦٠٠ طن من البترول في كل رحلة
رحلاتها . .

هذه صورة من لغة الأرقام تصور لنا مدى الخدمة
تقدمها هيئة قناة السويس الى الاقتصاد العالمى . .

العدو والقائم

٩٣

أفضل ما كتب عن الثورة الفرنسية

فيكتور هيجو

بقلم الكاتب الفرنسي الكبير



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفر

تليفون ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٧٥٣ - ١٢

العدد ١٩٣

التم

Bibliotheca Alexandrina



0403931



1n